کتابخانه و مرکز اطلاع رسانی
بنیاد دایرة المعارف اسلامی

علوم اللغة (٢)

دراسات علمية مُحكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دوري

المجلد الأول | العدد الثانى | ١٩٩٨

رئيس التحرير

أ. د. محمود فهمى حجازى (القاهرة)

نائبا رئيس التحرير

أ. د. سعيد حسن بحيرى (عين شمس)

أ. د. عمر صابر عبد الجليل (القاهرة)

مدير التحرير

د. مجدى إبراهيم يوسف (حلوان)

المستشارون العلميون

أ. د. جوزيف ديشى (ليون ٢)

أ. د. حسن حمزة (ليون ٢)

أ. د. حمزة المزينى (الرياض)

أ. د. رئيف جورج خورى (هيدلبرج)

أ. د. السعيد محمد بدوى (الجامعة الأمريكية بالقاهرة)

أ. د. فولفديترش فيشر (ارلانجن)

أ. د. عبده على الراجحى (الاسكندرية)

أ. د. كمال محمد بشر (القاهرة)

أ. د. مانفرد فويدخ (أمستردام)

أ. د. محمد عونى عبد الرءوف (عين شمس)

أ. د. محمود الطناحى (حلوان)

أ. د. مصطفى مندور (بنها)

شماره ثبت ٩٠٨١٥
تاریخ ٤/ ١٣٨٤/ ١٥١

الناشر
دار غريب
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم اللغة

دراسات علمية محكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دورى

مج ١ ، ع ٢ ١٩٩٨

ⓒ حقوق الطبع والنشر محفوظة ، ولا يسمح بإعادة نشر هذا العمل كاملا أو أى قسم من أقسامه ، بأي شكل من أشكال النشر أو استنساخه أو ترجمته ، أو اختزانه في أى شكل من أشكال نظم استرجاع المعلومات ، إلا بإذن كتابي من الناشر .

قيمة الاشتراك السنوى :

٨٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد :

٢٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة

المراسلات :

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى :

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ص ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٧٩ ٣٥٤٢ فاكس ٣٥٥٤٣٢٤

المحـــتويات

البحوث :	الصفحة
اللغة الأجريتية بنيتها وعلاقتها بالعربية	٩
أ . د. محمود فهمي حجازي	
الأسلوبية التعبيرية عند شارل بالي	٣٧
د. محي الدين محسب	
الدلالة الزمنية لصيغة الماضى في العربية	٩٧
د. محمد رجب محمد الوزير	
أنواع المورفيم في العربية	١٨٩
د. محمد عبد الوهاب شحاته	
ظواهر الغموض ووسائل رفع اللبس في التراكيب العربية	٢٧٧
د. مأمون عبد الحليم وجيه	

الدلالة الزمنية لصيغة الماضى فى العربية

دراسة فى ضوء السياق اللغوى

بقلم الدكتور
محمد رجب محمد الوزير

مجال هـذا البحث هـو دراسـة الدلالة الـزمنية لـصيغة الماضـى فى ضوء السياق . وترجع أهـمية هذه الدراسة إلـى أنها تصوغ الدلالـة الزمنية لصـيغة الماضى فى ضوء سياقات نصوص لغوية متنوعة لم تكن شريحـة مألوفـة اعتمـد عليها النحاة ، فالنصوص في البحث لم يؤلف درسها من قِبَل النحاة . وتهدف هذه الدراسة إلى :

(١) صوغ الدلالات الزمنية الرئـيسة لصيغة الماضى العربية وما يـتفرع عنها من دلالات تختلف بـاختلاف الجهة من قرب أو بعد أو اسـتمرار أو تكرار أو انتهاء . . . إلخ .

(٢) بيان العلاقة بـين الدلالة الزمنية لصيغة الماضـى وما يجاورها من دلالات زمنية لصيغ أخرى فى سياق النص نفسه .

(٣) بيان آراء العـلماء العرب قدامى ومـحدثين فى الدلالـة الزمنيـة لصـيغـة الماضى .

---

* أجيز هذا البحث بعد تحكيمه فى عام ١٩٩٥م .

(٤) بيان الجهد الذى قام به المستشرقون لدراسة الدلالة الزمنية لصيغة الماضى العربية..

ومادة هذا البحث نصوص لغوية جُمِعت من مظان عديدة ومتنوعة هى :

القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف من كتابَىْ : أوصاف النبى ﷺ للترمذى (ت ٢٠٩هـ) ، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ) ، والحكايات الواردة فى كتابين فى التفسير ، هما : الكشاف للزمخشرى (ت ٥٣٨هـ) ، وتفسير الفخر الرازى (ت ٦٠٤هـ) ، وكتاب مجمع الأمثال للميدانى (ت ٥١٨هـ) ، والدواوين الشعرية ، وهى : ديوان امرئ القيس ، وديوان عنترة بن شداد ، وديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، وديوان سحيم عبد بنى الحسحاس ، وديوان عمر بن أبى ربيعة ، وديوان الفرزدق ، الشعر الوارد فى المراجع الأدبية ، وهى : الأصمعيات للأصمعى (ت ٢١٣هـ) ، ورسائل الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ويتيمة الدهر للثعالبى (ت ٤٢٩هـ) ، وكتب المغازى والسير والطبقات ، وهى : المغازى للواقدى (ت ٢٠٧هـ) والسيرة النبوية لابن هشام (ت ٢١٣هـ) ، والطبقات الكبرى لابن سعد (ت ٢٣٠هـ) ، وكتب التاريخ ، وهى : فتوح البلدان للبلاذُرِىّ (ت ٢٧٩هـ) ، وتاريخ الرسل والملوك للطبرى (ت ٣١٠هـ) ، ومروج الذهب للمسعودى (ت ٣٤٦هـ) ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) .

إن جهود علماء النحو القدامى والمفسرين فى توضيح مسائل متفرقة عن الزمن فى العربية أضاف إليها اللغويون العرب المحدثون جهودًا كبيرة فى مجال دراسة زمن الفعل ووضع تصور عام لدلالاته المختلفة ، وعمل جداول زمنية له ، وبحث مسائل فرعية متعلقة بالزمن ، ومن أبرز هؤلاء اللغويين فى هذا

المجال : الدكتور إبراهيم أنيس فى كتابه : من أسرار اللغة ، والدكتور تمام حسان فى كتابيه : مناهج البحث فى اللغة ، واللغة العربية معناها ومبناها ، والأستاذ حامد عبد القادر فى مقاله : معانى الماضى والمضارع فى القرآن الكريم ، المنشور فى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة - الجزء العاشر ، والدكتور مهدى المخزومى فى كتابيه : فى النحو العربى نقد وتوجيه ، وفى النحو العربى ، قواعد وتطبيق على المنهج الحديث ، والدكتور إبراهيم السامرائى فى كتابه : الفعل زمانه وأبنيته ، والأستاذ عباس العقاد فى مقاله : الزمن فى اللغة ، المنشور فى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة - الجزء الرابع عشر ، والدكتور حسن عون فى مقاله : عن الأساليب التعبيرية : كان + الماضى بدون قد - هذه هى مثار البحث ، وهو منشور فى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء الثامن والعشرون ، والدكتور محمود فهمى حجازى فى كتابه : المدخل إلى علم اللغة ، والدكتور مالك يوسف المطلبى فى كتابه : الزمن واللغة .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

أما هذا البحث فإنه يحاول مايأتى :

أولاً : دراسة الدلالة الزمنية لصيغة الماضى فى ضوء سياقات نصوص لم تكن مألوفة لدى النحاة واللغويين .

ثانياً : بيان حد الثراء الزمنى الذى يفوق القسمة الثلاثية (الماضى والحاضر والمستقبل) بقسمين ، هما : الدلالة على ما قبل الزمن الماضى والدلالة على زمن ما بعد المستقبل اعتماداً على السياق ؛ مما جعل التصور عن الزمن العربى ليس مقصوراً على الأزمنة الثلاثة .

ثالثاً : وضع الأفكار المطروحة فى إطار الفكر اللغوى ، قديمه وحديثه ، عربيته

وأوربيته ، ولم يُمثَّل فيها بوجهة نـظر واحدة . وفى النهاية النص هو الحكم للوصول إلى الحقيقة العلمية المنشودة .

منهج التحليل :

يقوم المنهج التحـليلى لدراسة الدلالة الزمنية لصيغة المـاضى فى العربية فى ضوء السياق اللغوى على عدة أسس توضح فى النقاط التالية :

(١) تُحَدَّد الدلالة الزمنية لصيغة الماضى فـى البحث وكذلك جهتها من قرب أو بعد أو استـمرار أو تكرار أو انتهاء أو غـير ذلك فى ضوء السيـاق اللغوى للنصوص .

(٢) إذا وردت للـدلالة الزمنـية لصيـغة الماضى فـى ضوء سياق مـعين دلالات أخرى فرعيـة لها ، ذكرت الدلالة الرئيـسة بأمثلتهـا ، فالدلالات الأخرى الفرعية بأمثلتها .

(٣) إذا وردت دلالة زمنية كثيرة الاستعمال لـصيغة الماضى فى ضوء سياق معين أو موقع معين ، وأخرى مختلفة عنها وأقل استعمالاً منها ، ذكرت الأولى بأمثلتها ، فالأخرى بأمثلتها ، وأشير إلى الاختلاف بينهما .

(٤) تتم دراسة الـدلالة الزمنية لصـيغة الماضى فى كـل قسم فى حالة مجـيئها مثبتة ، فمجيئها منفية .

(٥) يُشار فـى البحـث إلى العلاقـة بين الدلالـة الزمنـية لصيـغة الماضـى وما يجاورهـا من دلالات زمنية أخـرى فى سياق النـص نفسه ؛ مما يـكون له الأثر الأكبر فى تحديد الدلالة الزمنية لصيغة الماضى بدقة .

(٦) يكون التركيز فى اختيار المادة من القرآن الكريم على آيات السور التى تتميز بالسياق القصصى الذى استخدمت فيه صيغة الماضى بكثرة وبدلالات زمنية

متنـوعة ، كما فـى سورة البقرة وآل عـمران والمائدة والأعـراف ويوسف وابراهيم والنحل والـكهف والنمل على سبيل المثال . ويـفيد الباحث من كتب التفسير فى إلقاء الضوء علـى سياق آيات تلك السور وغيرها ؛ حتى تتضح الدلالة الزمنية لصيغة الماضى فيها .

كما يكون الـتركيز أيضاً على كـتب التاريخ التى قدمـت الحكاية بأدق تفصيـلاتها المرتبطة بتـحديد الدلالة الزمنـية وتعدد أنماطها من شـخصيات وأحداث وملابسات وأحاديث مباشرة بعـد لفظ (قال) أو ما فى معناه أو محاورات وغير ذلك .

(٧) يُلْقى الـضوء علـى ما يـحيط بـالنص الـوارد فى البـحث مـن مناسـبات وملابسات وشخصيات ؛ مما يوضح الدلالة الزمنية لصيغة الماضى فى ضوء سياقها اللغوى .

(٨) تُحلَّل مكونات بعض التراكيب الفعلية التى تحتوى على صيغة ماضٍ ، كما هو الحال مـثلاً فى أفعال الشـروع التى تكوّن هـى وصيغة المضارع بـعدها وحدة واحدة لا تنفصل ، مؤداها أن حدثاً قد بدئ به فى الماضى .

(٩) يوضح الباحث آراء علـماء العربية القدامى واللغويـين المحدثين من العرب والأوروبيين فى كل دلالة زمـنية لصيغة الماضى علـى حدة ، ويحلل هذه الآراء ويقارن بينها من حيث تناول هذه الدلالة ، ومدى قرب كل رأى أو بعده من الحقيقة التى تظهرها النصوص .

(١٠) تذكر فى الـبحث المصطلحـات المختلفة التى أطـلقها العلمـاء على دلالة زمنية معيـنة لصيغة الماضى ، ويُخْتار أقربهـا نفعاً من الناحية العـلمية لهذه الدلالة ، مع بيان سبب الاختيار .

(١١) إذا تُرْجم رأى لمستـشرق فى البحث ، وكانـت أمثلته التـى أوردها دليلاً

على رأيه غير موثقة ، ذكر رأيه واستُعيض عن أمثلته بأمثلة أخرى مماثلة موثقة يأتى بها الباحث من مظانها ويشير إلى هذه المظان فى الهامش .

(١٢) يُستعان فى البحث بجدول إحصائى لبيان عدد الأفعال الماضية التى وردت فى سياق « حكاية الحال الآتية » عما أخبر به الله عز وجل عن أحداث يوم القيامة وأوصافها وقرب مجيئها ، وبيان مواضع هذه الأفعال فى القرآن الكريم وعدد مرات ورودها ونسبتها المئوية للوصول إلى نتيجة علمية دقيقة .

(١٣) رغم الاعتماد على الوصف متمثلاً فى النصوص ، والتحليل المعتمد على آراء القدامى والمحدثين ، فإن البحث يصل إلى نقد جملة من الآراء وإثبات بعض الآراء لدى الباحث .

وانطلاقاً من هذا كله ينتظم البحث إلى الأقسام التالية :

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

القسم الأول
دلالة صيغة الماضى على الزمن الماضى

لصيغة الماضى فى مجال الزمن الماضي دلالات عديدة متنوعة ، هى :

أولاً : الدلالة على حدث مُنْتَهٍ فى وقت ما من الماضى .

ثانياً : الدلالة على حدث بُدِئَ به فى الماضى وانتهى فيه كذلك .

ثالثاً : الدلالة على قرب وقوع الحدث فى الماضى .

رابعاً : الدلالة على تكرار وقوع الحدث فى الماضى .

خامساً : الدلالة على استمرار وقوع الحدث فى الماضى .

سادساً : الدلالة على انتهاء وقوع الحدث فى زمنٍ ماضٍ قريب من لحظة التكلُّم .

سابعاً : الدلالة على الزمن الماضى الدائم .

وفيما يلى بيان لهذه الدلالات فى ضوء السياق بالتفصيل :

أولاً : دلالة صيغة الماضى على حَدَثٍ مُنْتَهٍ فى وقت ما من الماضى :

وهى أكثر دلالات هذه الصيغة شيوعًا فى العربية ، نحو :

« حَضَرَ الطلابُ » ، و « فَهِموا الدرسَ » .

« كَبِر علىٌّ » ، و « أُلْحِقَ بالمدرسة » .

ومن ذلك قولـه تعالى : ﴿ إذْ أَوَى الفتيـةُ إلى الكَهْفِ فقالوا ربَّنـا آتنا من لدنك رحمة ﴾ [1] .

---

(١) سورة الكهف ، الآية ١٠ .

إن حَدَثى : الأوِىّ والقول ، كما دل عليهما سياق الآية ، انتهيا فى وقت ما من الماضى ، دون تحديد جهة زمنية معينة ؛ كالقرب مثلاً أو البعد أو الاستمرار أو التكرار . . . إلخ .

ومنه قول امرئ القيس [1] :

وأدبَرْنَ كالجَزْعِ المُفصَّلِ بَيْنَهُ ∴ بجيدِ الغُلامِ ذى القميص المُطَوَّقِ

فإدبار البقر الوحشى حدث منته فى وقت ما من الماضى ومن ذلك حديث الحسن بن أبى الحسن البصرى ، عن مسراه ، ﷺ . يقول الحسن :

« فمضى رسولُ الله ، ﷺ ، ومضى جبريلُ عليه السلام معه ، حتى انتهى به إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء ، فأمَّهُمْ رسولُ الله ، ﷺ ، فصلَّى بهم » [2] .

إن أحداث : المضىّ ، والانتهاء ، والوجود ، والإمامة ، والصلاة ، كما دل عليها سياق الحديث ، أحداث منتهية فى وقت ما من الماضى .

وتعرض فيما يلى عدة تعريفات لهذا النوع من الاستعمال ثم تتبع ببعض الملاحظات عليها . فمن هذه التعريفات :

(١) تعريف سيبويه الذى اعتمد فيه على ذكر أشكال متنوعة من صيغ الماضى دالة على الزمن الماضى ، دون تحديد لأية جهة ، يقول : « فأما بناء ما مضى فذَهَب وسَمِع ومكُث وحُمِد » [3] .

---

(١) ديوان امرئ القيس : ص١٥٣ ، البيت ٢٧ من قصيدته (ألا انعم صَباحاً) ، والبيت من بحر الطويل . ويعنى بـ (أدبرن) : البقر الوحشى ، شبّههن فى صفائهنّ وبريقهن واختلاف ألوانهن بالجزع ، وهو الخرز .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية : ٢/ ٣٩٨ .

(٣) الكتاب : ١/ ١٢ .

(٢) عَرَّف الزمخشرى هذا النوع بأنه « الدال على اقتران حَدَثٍ بزمان قبل زمانك » [١] .

(٣) سمَّاه الدكتور تمام حسان « الماضى البسيط » [٢] وعرَّف البساطة بأنها « الخلو من معنى الجهة أو بعبارة أخرى عدم الجهة فيكون معنى الجهة هنا معنى عدميا » [٣] .

(٤) أطلق الأستاذ حامد عبد القادر عليه اسم « الماضى المطلق » [٤] ورأى أنه « أبسط الأنواع وأعمها فى الدلالة . . . أما أنه أعمها فى الدلالة فلأنه يدل على مجرد وقوع الحدث فى الماضى دون الإشارة إلى قرب أو بعد أو استمرار أو انقطاع أو توكيد أو غيره » [٥] .

وتابعه فى هذه التسمية الدكتور مهدى المخزومى ، فيشير إلى أن بناء (فَعَل) يدل « على أن العمل تَمَّ فى زمان ماضٍ مطلق ، مثل قولهم : دخل الزائرون وجلسوا فى أماكنهم ، وهو الاستعمال الأصل والدلالة الأساس فى بناء (فعل) » [٦] .

(٥) أشار الدكتور مالك المطلبى إلى أن صيغة الماضى تُعَبِّرُ « عن دلالة زمنية غير محددة فى الماضى » [٧] .

---

(١) ذكر ابن يعيش هذا التعريف (فى شرح المفصل : ٤/٧) وشرحه بقوله : « الماضى ما عدم بعد وجوده فيقع الإخبار عنه فى زمان بعد زمان وجوده ، وهو المراد بقوله الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمانك أى قبل زمان إخبارك . ويريد بالاقتران وقت وجود الحدث لا وقت الحديث عنه » .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٥ .

(٣) الكتاب نفسه : ٢٤٥ .

(٤) مقالة : معانى الماضى والمضارع فى القرآن الكريم ، مجلة مجمع اللغة العربية : ٦٧/١٠ .

(٥) المقالة نفسها : ٦٥/١٠ .

(٦) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٢٢ ، ١٥٤ .

(٧) الزمن واللغة : ٢٢٠ .

(٦) رأى زُوكِن[١] أن صيغة الماضى تكون « الزمن الفعلىّ للحكاية[٢] (الماضى التاريخى)[٣] حين يكون الكلام عن حدثٍ منتهٍ فى الماضى[٤] ، وعادةً ما تُتَرْجَمُ هذه الصيغة بصيغة الماضى البسيط فى اللغة الألمانية مثل : جاء زيدٌ »[٥] .

وافَقَ زُوكِن كلٌّ من ركندورف[٦] وبروكلمان[٧] فى أن صيغة الماضى العربية هى الزمن الفعلى للحكاية .

(٧) أوضح دينز[٨] أنه « بالنظر إلى نقطة حاضر المتكلِّم (أو الكاتب) بوصفها الوقتَ المُعَيَّنَ[٩] ، تُعَبِّرُ صيغةُ الماضى (فَعَل) عن زمن الماضى البسيط[١٠] ، مثل : جاء »[١١] .

من التعريفات السابقة تتضح عدة أمور ، هى :

١ - ورود مسميات مختلفة لهذا النوع ، منها ما اتخذ الشكل أساسًا ، وهو « بناء ما مضى » ، ومنها ما اتخذ المعنى أساسًا ، مثل : « الماضى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

---

(١) SOCIN, A.

(٢) Das Tempus der Erzählung.

(٣) Perfectum historicum.

(٤) Einer abgeschlossenen Handlung in der Vergangenheit.

(٥) SOCIN, A : Arabische Grammatik, § 98, s.S. 90.

(٦) RECKENDORF (H.) : Arabische Syntax, § 7, s.S. 10.

(٧) BROCKELMANN, CARL : Arabische Grammatik, § 91, s.S. 119.

(٨) DENZ.

(٩) Als Relationswert.

(١٠) Die einfache Vergangenheit.

(١١) DENZ, ADOLF : Die Struktur des klassischen Arabisch, s.S. 71.

البسيط » و « الماضى المطلق » ، ومنـها ما اتخـذ الموضـوع أساسًا ، وهو « الماضى التاريخى » .

ويلاحظ أن « الماضى البسيط » [1] و « الماضى التاريخى » [2] مسميان منقولان من قواعد اللغات الأوروبية .

٢ - أن دلالة صيغـة الماضى على حدث منتـهٍ فى وقت ما من الماضى تسـتعمل كثيرًا فى الحكاية .

٣ - أن انتهاء حدث هذا الزمن يكون قبل نقطة حاضر المتكلم أو الكاتب ، أى قبل وقت الإخبار بهذا الحدث .

٤ - أن هذا الزمن هو المعنى الأصلى لصيغة الماضى فى العربية .

نفى صيغة الماضى الدالة على حدث منته فى وقت ما من الماضى :

تنفى صيغـة الماضى الدالة على حدث منتهٍ فـى وقت ما من الماضى (فَعَل وما يشبهها) بـ « لم يفعل » و « ما فَعَل » [3] ، من ذلك قوله تعالى :

﴿ يا أيُّها الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الذين يُسَارِعُونَ فى الـكُفْرِ من الذين قالوا آمَنَّا بأفواهِهِمْ ولم تُؤْمِن قُلوبُهُمْ ﴾ [4] .

---

(١) يقابل : Die einfache Vergangenheit فى الألمانية .

(٢) يقابل : Perfectum historcum فى اللاتينية .

(٣) يقول سيبويه (فى الكـتاب ٣ : ١١٧) : « إذا قال : فَعَلَ فإن نفيه لم يَفْعَل . . . وإذا قال : لَقَد فَعَلَ فإن نفيه ما فَعَل ، لأنه كأنه قال : والله لقد فَعَل فقال : والله ما فَعَل » .

ولاحظ الدكتـور مالك المطلبى (فى كـتابه : الزمن واللغة : ٢٢١) أن نـفى « فَعَل » بـ « لم يفعل » و « ما فَعَل » سواء من الناحية الزمنية عند سيبويه إذ هما ينفيان وقوع الحدث فى الزمن الماضى غير المحدد ، وأن النفى بـ « ما » آكد من النفى بـ « لم » ، يقول سيبويه (فى الكتاب : ١٩٧/٣) : « الحَلِفُ توكيد » .

(٤) سورة المائدة ، آية ٤١ .

فصيغة الماضى فى قوله (لم تؤمن) تدل على حدث منته فى وقت ما من الماضى .

وقول البَلاذُرِىّ (ت ٢٧٩هـ) : « وكانت خزاعة فى صلح رسول الله ﷺ ، فاقتتلت بنو بكر وخزاعة بعرفة ، فأمدَّتْ قريشٌ بنى بكر بالسلاح وسقوهم الماء وظللوهم ، فقال بعضهم لبعض : نكثتم العهد فقالوا : ما نكثنا والله ما قاتلنا إنما مددناهم وسقيناهم وظللناهم »[1] . فصيغة الماضى فى قوله (ما نكثنا) و (ما قاتلنا) تدل على حدث منته فى وقت ما من الماضى .

ثانياً : الدلالة على حَدَثٍ بُدِئَ به فى الماضى وانتهى فيه كذلك :

وهى دلالة صيغة الماضى لأفعال الشروع[2] مركبةً مع مضارع بعدها ، ومنها : طَفِق يَفْعَلُ ؛ جَعَل يفعلُ ، أخذ يفعلُ ، أنشأ يفعلُ ، عَلِقَ يفعلُ ، هَبَّ يفعلُ .

إنَّ التركيب الفعلى « طَفِقَ يَفْعَلُ » ، وأمثاله ، وحدة واحدة لا تنفصل ، مؤداها أن حدثًا قد بدئ به فى الماضى . وهذه الدلالة ليست مقصورة على جزء من التركيب دون الآخر[3] . ففى نحو : « جَعَل خالدٌ يذاكِرُ » يتكون

---

(١) فُتوح البُلْدان : ٥٠ .

(٢) سميت بأفعال الشروع لـ « شروع المسمَّى باسمها فى خبرها » . ينظر : شرح شذور الذهب لابن هشام : ١٨٩ .

(٣) إن وحدة هذا التركيب الفعلى ودلالتها فى الفصحى مازالتا تحكمان استعمال كثير من اللهجات العربية الحديثة ؛ ففى اللهجة المصرية مثلاً يقال : آم ينام aam yinaam' اى قام ينام ، وفى منطقتى جنوب الشرقية والباطنة بسلطنة عُمان يقال : جام يُوكِل gaam yuukil اى : قام يأكلُ ، وفى منطقة الداخلية بها يقال : بَدَ يْسير bada ysiir اى : بدأ يَسِيرُ ، وبَدْيِتْ تسيرْ badyit tsiir اى بدأتْ تَسِيرُ . وفى لهجة الرباط بالمغرب يقال : بْدَا ياكُلْ bdaa yaakul اى بَدَأ يأكُل ، وبْدَاتْ تاكُل bdaat taakul اى : بَدَأتْ تأكُل . ويلاحظ أن فعل الشروع فى هذه اللهجات يسند ، كما هو فى الفصحى ، إلى الاسم الظاهر وإلى ضمير التكلم والخطاب والغيبة .

التركيب من حدث رئيس هو « يذاكر » ؛ وجِهَةِ بدء هذا الحدث فى الماضى متمثلة فى (جعل) .

فلو فُصِل هذا التركيب لخرج الفعل (جعل) عن معنى الشروع إلى معنى آخر كالإيجاد مثلاً فى نحو قوله تعالى : ﴿ وجَعَلَ الظُّلمات والنورَ ﴾ [1] أى : أوجدها ؛ أو التحوّل فى نحو : « جعلتُ الخشَب كُرْسِيًّا » ، أى : صيَّرْتُه ، ولأخذ الفعل (يذاكر) جهة زمنية أخرى غير جهة البدء فى الماضى .

أطلق الدكتور تمام حسان على الدلالة الزمنية لتركيب (طفق يفعل) : « الماضى الشروعى » [2] بالنظر إلى الجزء الأول من هذا التركيب (طفق) . وأطلق الدكتور مالك المطلبى عليها : « الحاضر الشروعى » [3] بالنظر إلى الجزء الأخير من التركيب نفسه (يفعل) .

تتفرع الدلالة الزمنية لتركيب « طفق يفعل » وأمثاله طبقًا للسياق الذى يرد فيه إلى فرعين :

الأول : الدلالة على حدث بُدئ به فى الماضى وانتهى فى الماضى أيضًا وذلك إذا ورد التركيب فى الحكاية . من ذلك قوله تعالى : ﴿ وطَفِقا يَخْصِفَان عليهما من وَرَق الجنة ﴾ [4] . أى : « شرعَا يخيطان ورقةً على أُخْرَى كما يُخْصَفُ النَّعالُ ليستترا بها » [5] . لا شك أن حَدَث

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ١ .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٥ .

(٣) الزمن واللغة : ٢٨٣ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ٢٢ ، وسورة طه ، الآية ١٢١ .

(٥) ابن هشام : شرح شذور الذهب : ١٩٢ .

الخَصْف ، كما دل عليه سياق الآية الكريمة ، بدئ به فى الماضى وانتهى فيه كذلك .

ومن ذلك أيضاً ما حكاه الواقدى (ت ٢٠٧هـ) عن رجل من مُضَر قابل النبى ﷺ . زعم الرجل أن قومه أول من حدا الإبل فقد أغير على رجل منهم فى الجاهلية ومعه غلام ، فنفرت إبله وذهبت على وجهها شاردة ، فأمر الغلامَ أن يجمعها فرفض ، فضرب الغلامَ بعصا « فجعل الغلامُ يقول : وايداه ! وايداه ! وتجتمع الإبلُ ، فجعل سيده يقول : قل هكذا بالإبل ! وجعل النبىُّ ﷺ يضحك »[1] .

ورد فى هذه الحكاية ثلاثة أمثلة لتركيب (جعل يفعل) ويلاحظ أن حدثى القول والضحك ، كما دل عليهما سياق الحكاية ، بدئ بهما فى الماضى وانتهيا فيه كذلك .

الآخر : الدلالة على حدث بُدِئ به فى الماضى القريب واستمر فى الحاضر وذلك فى استعمالاتنا اليومية لهذا التركيب . مثل ذلك : هَبَّ خالد يُصَلِّى ، وأخذ الأستاذُ يتكلم ، وجعل علىٌّ يعمل .

لوحظ من كلام النحاة على أفعال الشروع فى الاستعمال :

(١) أن لفظ المضى يلازمهن[2] .

(٢) أنها تسند إلى الاسم الظاهر وإلى ضمير التكلم والخطاب والغيبة .

(٣) أن « طفق أشهرها »[3] .

(٤) أن « عَلِق » و « هَبَّ » أغربها[4] .

---

(١) المغازى : ١٠١١ .

(٢) ينظر : شرح التسهيل لابن مالك : ١/ ٣٨٩ .

(٣) ابن هشام : شذور الذهب : ١٩٢ .

(٤) ينظر : شرح التسهيل لابن مالك : ١/ ٣٨٩ .

وأظن أن « جعل » أشهر أفعال الشروع فى الاستعمال ، وليس كما قال ابن هشام .

يلحق النحاة العرب أفعال الشروع [1] عادة بباب (كان) وذلك لما يلى :

١ - « لمساواتها لها فى الدخول على مبتدأ وخبر ، ورفع الاسم ونصب الخبر ، إلاَّ أن هذه الأفعال رُفض فيها ترك الإخبار بجملة فعلية » [2] فعلها مضارع [3] مجرد من أنْ ، « لأن (أنْ) تقتضى الاستقبال ، والشروع ينافيه » [4] .

٢ - لأنَّ « أخبارها حاصلة المضمون كأخبار كان » [5] .

٣ - لأن الاسم فى هذا الباب حقُّه « أن يكون معرفة أو مقاربا لها ، كما يحق ذلك لاسم كان » [6] .

ثالثاً : الدلالة على قرب وقوع الحدث فى الماضى :

وهى دلالة صيغة الماضى لأفعال المقاربة مركبةً مع مضارع بعدها . وقد يُسْبَقُ المضارع بـ « أنْ » [7] . ومن هذه التراكيب : كاد (أن) يفعل ؛ أوشك

---

(١) وكذلك تلحق أفعال المقاربة والرجاء ، وإن تنوعت أسباب الإلحاق .

(٢) ابن مالك : شرح التسهيل : ١/ ٣٨٩ .

(٣) أوضح الدكتور مهدى المخزومى فى كتابه (فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٨٨) أن ما فى أفعال الشروع من دلالة على البدء بالحدوث « هو الذى اقتضى أن تكون (أخبارها) أفعالا » ؛ لأن البدء بالحدوث « معناه : أن الشىء لم يكن ، ولكنه . . . بدئ به منذ حين ، وهذا مما يناسبه الفعل دون غيره » .

(٤) ابن مالك : شرح التسهيل : ١/ ٣٩٠ .

(٥) الرضى : شرح كافية ابن الحاجب : ٢/ ٣٠٥ .

(٦) ابن مالك : شرح التسهيل : ١/ ٣٩٥ .

(٧) يرى سيبويه (ت ١٨٠هـ) أن اقتران المضارع فى خبر كاد بـ « أنْ » خاصٌّ بالشعر ؛ يقول (فى =

(أن) يفعل) ؛ كَرَب (أنْ) يفعل ؛ هلهل يَفْعَلُ ، أولى أن يفعلَ [1] .

إن تركيب « كاد (أن » يفعل » وأمثاله ، وحدة واحدة لا تنفصل مؤداها: قُرْبُ وقوع الحدث الوارد فى الخبر ، سواء أكان فعلا مضارعا أم مصدراً مؤولا ، ولا يلزم تحقق وقوعه بالضرورة .

هذه الدلالة ليست مقصورة على جزء من التركيب دون الآخر؛ ففى نحو: « كاد خالد يسافرُ » ، يتكون التركيب من حدث رئيس هو « يسافر » وجهة قرب، وقوع هذا الحدث فى الماضى ، متمثلة فى « كاد » . وفى نحو : « كاد علىٌّ أن ينجحَ » ، يكون الحدث الرئيس هو المصدر المؤول (أن ينجح) وجهة

= الكتاب : ٣/ ١٥٩ ، ١٦٠) : « وأمَّا كاد فإنهم لا يذكرون فيها أنْ ، وكذلك كَرَب يفعلُ ، ومعناهما واحد . . . وقد جاء فى الشعر كاد أنْ يفعلَ » . ونسب ابنُ عقيل (ت ٧٦٩هـ) رأىَ سيبويه السابق للأندلسيين فقال (فى شرحه على ألفية ابن مالك : ١/ ٣٢٩، ٣٣٠) : « وأما « كاد » فذكر المصنف أنها عكس « عَسَى » ؛ فيكون الكثير فى خبرها أن يتجرد من « أن » ويقلّ اقترانُه بها ، وهذا بخلاف ما نَصَّ عليه الأندلسيون من أن اقتران خبرها بـ « أن » مخصوص بالشعر » .

وأرى أن ما جاء فى كتاب سيبويه ينفى ذلك .

أما ابن مالك (فى شرح التسهيل : ١/ ٣٨٩ ، ٣٩٠) فيرى أن أفعال المقاربة « التزم كون خبرها مضارعا مجردًا مع هلهل ، ولابد من مقارنة أن للمضارع المخبر به بعد أولى . . . وترك ذلك بعد كاد وكرب أولى من فعله . . . والأمر بعد أوشك سواء » .

(١) يرى سيبويه أن المصدر المؤول المكون من « أن » والفعل المضارع والواقع فى خبر كاد يكون منصوبا على نزع الخافض قياسًا ، وأوجب العربُ حذف حرف الجر لكثرة الاستعمال . وتابعه فى ذلك ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) والرضى (ت ٦٨٦هـ) مُضيفَيْنِ إليه بقية أفعال المقاربة ويقدر هذا الحرف المحذوف ويختلف من تركيب إلى آخر على النحو التالى :

كاد أن يفعل ، بتقدير : كاد من أن يفعل .

أوشك أن يفعل ، بتقدير : أوشك فى أن يفعل .

كَرَب أن يفعل ، بتقدير : كرب من أن يفعل .

أولى أن يفعل ، بتقدير : أولى بأن يفعل .

(ينظر : الكتاب : ٣/ ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، وشرح التسهيل : ١/ ٣٩٤ ، وشرح الكافية : ٢/ ٣٠٤ ، ٣٠٥) .

قرب وقوعه ، وهى (كـاد) . ولا يلزم تحقق وقوع الحدث (السـفر فى المثال الأول ، والنـجاح فى المـثال الآخر) بـالضـرورة ؛ إذ لا يتحـقق وقوعـه فى السياقات العربية .

ويفهم من كلام للرضى (ت ٦٨٦هـ) عن « هلهل » [١] أن تركيبًا مثل : « كاد يفعل » وأمثاله ، فيـه مبالغـة فى قرب وقوع الحـدث أكثر مما لو قلت : « كاد أن يفعل » وأمثاله . ولكن بتناول دراسة الـدلالة الزمنية لهذين التركيبين فى بعض النصوص العربية ، من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر تبين من سياقاتها أنـه لا فرق فى الدلالة الزمنـيـة بين تركيب « كاد يفعل » وأمثاله ، وتركيب « كاد أن يفعل » وأمثاله [٢] . من ذلك :

(١) قوله تعالى على لسان هارون مخـاطباً موسى ، عليه السلام : ﴿ إنَّ القومَ استضعفونى وكادوا يقتلوننى ﴾[٣] . ففى قول هارون ﴿ كادوا يقتلوننى ﴾ مبالغة فى قرب قتل بنى إسرائـيل إياه ؛ فقد كان هارون ، عليه السلام ، يعظهم ويحذرهم من عبادة العجـل حتى قهروه وقاربوا قتله ، وحين شعر بذلك سكت عن فعل القوم ، وهو عـبادة العجل. ولكن الحدث (القتْل) لم يقع فى سياق الآيات .

---

(١) يقول الرضى (فى شرح الكافية : ٢/ ٣٠٥) : « وأما هلـهل فإنما ألزم تجريد خبره من (أن) مع أنه بمعنى كاد ، لا بمـعنى طفق ؛ لأن المبالغـة فى القرب فيه أكثر . ومثـل هذا التركيب يدل علـى المبالغة كزلزل وصرصر ، فكأنه للمبالغة فى القرب لاحق بالأفـعال الدالة على الشروع ؛ فاستعمل خبره بغير أن ، نحو : هلهلتُ أقومُ » .

(٢) يؤيد ذلك ما رآه الدكتور مهدى المخزومى (فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٨٩) من أن دخول (أن) على الفعل بعد أوشك فى نحو : أوشك عمرو أن يقوم « لـن يغير طبيعة الجملة بعدهما ، ولن تحول بعدها إلى جملة اسمية » .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٥٠ .

(٢) قول جبير بن مطعم رضي الله عنه : « كاد قلبى أن يطير »[١] .

في هذا القول مبالغة أيضًا فى قرب وقوع الحدث (طيران القلب مجازًا) ؛ نظرًا لانزعاج جبير رضي الله عنه ، حين سمع آيات من سورة الطور وفهم معناها ، تلك الآيات التى قرأها النبى صلى الله عليه وسلم ، فأسلم جبير رضي الله عنه عقب ذلك[٢] .

ويلاحظ أن الحدث (طيران القلب مجازًا) لم يقع فى سياق الحديث الشريف .

(٣) قول عمر بن أبى ربيعة[٣] :

فَدَلَّ عليها القلبَ رِيًّا عَرَفْتُها ∴ لها ، وهَوَى النَّفْسِ الذى كادَ يَظْهَرُ

. . . . . .

فَحَيَّيْتُ إذْ فاجأتُها فتولَّهَتْ ∴ وكادَتْ بِمَخْفُوضِ التَّحيةِ تَجْهَرُ

فقوله فى البيت الأول : « كاد يَظْهَرُ » فيه مبالغة فى قرب ظهور هوى نفس الشاعر ، بدليل أن هذا الهوى قد ظهر بسرعة بعد هذا الموقف مباشرة وذلك فى قوله : « فلمَّا فَقَدْتُ الصوت منهم . . . أَقْبَلْتُ مِشيةَ الحُبَابِ »[٤] .

---

(١) نص الحديث الشريف كما ورد فى فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى (باب تفسير سورة الطور : جـ١٨ ص ٢٣٤) : « حدثنا الحميدىُّ : حدثنا سفيان قال : حدثونى عن الزُّهرىّ ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه رضي الله عنه ، قال : سمعت النبىّ صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الآية ﴿ أم خُلِقُوا مِن غيرِ شَىْءٍ أمْ هُمُ الخالِقونَ . . . ﴾ كاد قَلْبِى أنْ يطِيرَ » .

(٢) ينظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى : ١٨/ ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٣) شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة : البيتان : ٢٤ ، ٢٨ من القصيدة الأولى : ص٩٦ وهى من بحر الطويل ، والريا : الرائحة الطيبة . تولهت : تكلفت الوله واظهرته ، والوله : الحزن وذهاب العقل والتحير من شدة الخوف . مخفوض التحية : الذى يسر منها ولا يعلن .

(٤) شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة : جزآن من البيتين : ٢٥ ، ٢٧ من القصيدة نفسها : ص٩٦ .

وقوله فى البيت الآخر : « كادت بمخفوضِ التحيةِ تَجْهَرُ » ، فيه مبالغة أيضًا فى قرب وقوع الجهر بالتحية ؛ بدليل مفاجأته إياها ، وحالة الوله التى انتابت محبوبته .

ويلاحظ أن الجهر بها لم يقع فى السياق .

فلا فرق إذن بين النصوص الثلاثة السابقة فى درجة قرب وقوع الحدث فيما مضى .

وأرى أنه إذا وُجد فرقٌ بين نصين فى درجة قرب وقوع الحدث ، الأول فيه تركيب (كاد يفعل) ، والآخر فيه (كاد أن يفعل) ، رجع هذا إلى اختلاف بين سياقى النصين وليس إلى اختلاف بين التركيبين .

نفى (كاد يفعل) :

ينفى التركيب (كاد يفعل) غالبًا بـ (لم يكد يفعل) . ولهذا التركيب المنفى دلالتان زمنيتان :

الأولى : الدلالة على نفى قرب وقوع الحدث فى الماضى : مثل ذلك قولك : لم يكد فلانٌ يموت ، « فمقاربة الموت منفية ويلزم من نفى مقاربة الموت نفى وقوعه . . . وقولك : لم يكد يموت أبلغ فى إثبات الحياة من قولك : لم يمت ، ولهذا قيل فى قوله تعالى : ﴿ إذا أَخْرَجَ يَدَهُ لم يَكَدْ يراها ﴾ [1] إن معناه : لم يرها ولم يقارب أن يراها » [2] .

الأخرى : الدلالة على نفى قرب وقوع الحدث فى زمن ما قبل الماضى [3] وإنْ

---

(١) سورة النور ، الآية (٤٠) .

(٢) ابن مالك : شرح التسهيل : ١/ ٣٩٩ .

(٣) Die Vorvergangenheit.

وقع حدث فعل الجملة السابقة فى الزمن الماضى [1] : مثل ذلك قوله تعالى : ﴿ فَذَبَحُوها وما كادوا يَفْعَلُونَ ﴾ [2] . تتضمن هذه الآية زمنين ؛ الأول : زمن ما قبل الماضى ، وفيه نفى قرب وقوع الذبح ويمثله قوله تعالى : ﴿ وما كادوا يفعلون ﴾ [3] ، والآخر : الزمن الماضى ، وفيه وقوع الذبح ويمثله قوله تعالى : (فذبحوها) .

لوحظ من كلام النحاة على أفعال المقاربة فى الاستعمال :

(١) أن « أشهرها كاد » [4] . وأظن أن كلام ابن مالك أن « أشهرها كاد » صحيح ؛ لوجود أمثلة كثيرة استخدمت فيها (كاد) ومثّل ببعضها فى البحث .

(٢) أن هذه الأفعال يلازمهن « لفظ المضى إلاَّ كاد وأوشك ، فإنهما اختصا باستعمال مضارعيهما » [5] .

(٣) أنها تسند إلى الاسم الظاهر وإلى ضمير التكلم والخطاب والغيبة .

(٤) أن اسم هذه الأفعال حقُّه « أن يكون معرفة أو مقاربا لها ، كما يحق ذلك لاسم كان » [6] .

---

(١) Die Vergangenheit.

(٢) سورة البقرة ، الآية (٧١) .

(٣) أوضح ابن مالك (فى شرح التسهيل : ١/ ٤٠٠) الدلالة الزمنية لهذه الآية بقوله : « وأما قوله تعالى ﴿ وماكادوا يفعلون ﴾ فمحمول على وقتين ، وقت عدم الذبح وعدم مقاربته ، ووقت وقوع الذبح ، كما يقول القائل : خلص فلان وما كاد يخلص » .

(٤) ابن مالك : شرح التسهيل : ١/ ٣٨٩ .

(٥) الكتاب نفسه : ١/ ٤٠٠ .

(٦) الكتاب نفسه : ١/ ٣٩٥ .

(٥) أنه « يتعين فى أخبـار جميع أفعال المقاربة أن يكون فاعـل أخبارها ضميراً عائداً إلى اسمهـا ، فلا تقول : كاد زيد يخرج غلامه إلا أن يـكون المسند إلى سببه بمعنى الفعل المسند إلـى ضمير الاسم نحو : كاد زيد يخرج نفسه هو ، بمعنى : كاد زيد يموت »[١] .

رابعاً: الدلالة على تكرار وقوع الحدث فى الماضى:

وهـى دلالـة صيغـة الماضى ضمن تـركيبين ؛ الأول : كُلَّمـا كَتَـبَ فَعَـل والآخـر : كان إذا كَتَبَ فَعَل .

فالـتركيـب الأول (كُلَّما كَتَبَ فعل) يـشمل حَدَثًا رئـيسًا (فَعَل) يتـرتب وقوعه على وقوع حدث متكرر (كَتَب) يلى كُلَّما[٢] مباشرة .

ولهذا التركيب فى اللغة دلالتان زمنيتان :

الأولى : الدلالة علـى « تكرار وقوع الحدث[٣] فى الماضى[٤] » وهى الدلالة الغالبة على هذا التركيب فى الاستعمال . مثل ذلك :

(١) قوله تعالى : ﴿ كُلَّما دَخَلَ عليها زَكريَّا المِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقًا ﴾[٥] .

---

(١) الرضى : شرح الكافية : ٢/ ٣٠٤ .

(٢) ذكر القيسى (ت ٤٣٧هـ) فى كتابه : مشكل إعراب القرآن (القسم الأول / ص٨٢) أن كُلَّما « فيها معنى الشرط ، فهى تحتاج إلى جواب » ، كما ذكر السيوطى (ت ٩١١هـ) فى كتابه : همع الهوامع (٤/ ٣٨٣ ، ٣٨٤) أنها « ظرف يقتضى التكرار ، مركـب من « كُلّ » و « ما » المصدرية أو النكرة التى بمعنى وقت » .

(٣) Der Iterativ.

(٤) Nebes, Norbert : Funktionsanalyse von Kaana yaf'alu, Kapitel 5, S.s. 121.

(٥) سورة آل عمـران ، الآية ٣٧ ، وينظر أيـضًا على سبيـل المثال لا الحصر : سـورة هود ، الآية ٣٨ ، وسورة المؤمنين ، الآية ٤٤ .

فوقوع الحدث الرئيس (وجود الرزق) فى الآيـة الكريمة مترتب على وقوع الحـدث المتـكرر (دخول زكـريا ، عـليه الـسلام ، المحـراب) فى الماضى .

(٢) قول طريف بن تميم العَنْبرى [١] :

أوَ كُلَّما وَرَدَتْ عُكاظَ قبيلةٌ ∴ بَعَثُوا إلىَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ

فوقوع الحـدث الرئيس (بَعْث الـعريف) متـرتب على وقـوع الحدث المتكرر (ورود قبيلة سوق عكاظ) فى الماضى .

(٣) قول امرأة سَلَمَةَ بن هشام بن العاص بن المغيرة فى زوجها سلمة :

« واللهِ ما يستـطيع أنْ يَخْرجَ ، كُلَّما خَرَج صاح به الـناسُ : يا فرَّار فَرَرْتُم فى سبيل الله ! حتى قعد فى بيته فما يخرج » [٢] .

فوقوع الحدث الرئيس (صياح الناس بسـلمة فى قولها : « كلما خرج صاح بـه الناسُ ») متـرتب علـى وقوع الحدث المـتكرر (خروجـه) فى الماضى .

الأخرى : الدلالة عـلى تكرار وقوع الحدث فـى المستقبل : وهـذه الدلالة أقل من سابقتها ورودًا فى الاستعـمال . من ذلك قوله تعالى : ﴿ كُلَّما رُزِقُوا منها مِن ثَمَرَةٍ رِزْقًا قالُوا هذا الذى رُزِقْنا مِن قَبْلُ ﴾ [٣] .

---

(١) الأصمعيـات : رقم (٣٩) ، ودلائل الإعجاز لعبـد القاهر الجرجانـى (ص١٧٦ ، الشاهد ١٨٨) . وطريف شاعر جاهلى ، من بنى تميم ، قتله أحد بنى شيبان . والبيت من بحر الكامل .

أوضح عبد القـاهر معنى « بعثوا إلىَّ عريـفهم يتوسم » بقوله (ص١٧٧) : « المـعنى على تَوَسُّمٍ وتأمُّل ونظرٍ يتجدَّد من العريف هناك حالاً فحـالاً ، وتصفُّح منه الوجوه واحدًا بعد واحد » . ويتضح من السياق أن قبائل عديدة أرادت أن تبحث عن الشاعر ؛ لتنال منه .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية : ٤/ ٢٤ ، ٢٥ .

(٣) سورة البقـرة ، الآية ٢٥ ، وينظر أيضـا : سورة النـساء ، الآية ٥٦ ، وسـورة الأعراف ، الآية ٣٨ ، وسورة الإسراء ، الآية ٩٧ ، وسورة السجدة ، الآية ٢٠ .

فوقوع الحدث الرئيس (قول المؤمنين) فـى الآية الكريمة مترتب على وقوع الحدث المتكرر (حصولهم عـلى الرزق) فى المستـقبل . وجاء الاستقـبال من السياق الخاص بوصف حياة المؤمنين فى الجنات يوم القيامة .

أما التركيب الآخر (كان إذا كَتَبَ فَعَل) فيشمل حدثا رئيسا (فَعَل) ترتب وقوعه على وقوع حـدث متكرر (كَتَب) ، وجهـة زمنيـة تفيـد الزمن الماضى (كان) .

ويدل هذا التركـيب على تكرار وقوع الحدث فى الماضـى . مثل ذلك قول ابن سعد : « وكان عمرُ رضي الله عنه ، إذا بعث عاملاً له على مدينة كَتَب ماله »[1] .

فوقوع الحـدث الرئيس (كـتابة مال الـعامل) متـرتب على وقـوع الحدث المتكرر (بَعْث العامل) فى الماضى .

خامسا : الدلالة على استمرار وقوع الحدث فى الماضى :

وهى دلالة صيغة الماضى (كان) مركبةً مع مضارع بعدها ، وهو ما يعرف بتركيب « كـان يفعل »[2] . فصيغة المضارع تمثل الحدث الـرئيس لهذا التركيب أما (كان) فتمثل جهة وقوع هذا الحدث فى الماضى .

مثل ذلك قوله تعالى فى أصـحاب الشِّمال : ﴿ وكانوا يُصرُّون على الحِنْثِ العظيم ، وكانوا يقولون أئذا متنَا وكُنَّا تُرابًا وعِظاما أءِنَا لَمَبْعُوثُون ﴾[3] .

---

(١) الطبقات الكبرى : ٣/٢٠٣ .

(٢) ذكر الـرضى (فـى شرح الـكافيـة : ١/٢٥٢) أنه « إذا قـلت : كنـتُ رأيتُ زيـدًا ، لا يدل عـلى الاستمرار ، وإذا قلت : كنتُ أراه فظاهره الاستمرار » .

ولاحظ نولدكه Nöldeke (فى كتابه : Zur Grammatik des classischen Arabisch. § 57, S. 70) ان تركيب كان يَفْعَلُ يقـع فى العربية « بمعنى صيغـة المضارع اليونانية واللاتيـنية للدلالة على استمرارٍ فى الماضى أو تعوّدٍ فيه » .

(٣) سورة الواقعة ، الآية ٤٦ ، ٤٧ . والحنث : الذنب .

فقـوله (كانوا يـصرون) و (كانوا يـقولون) يدل عـلى استمـرار إصرار أصحاب الشمال على الذنب العظيم فى الماضى ، واستمرار قولهم هذا فيه .

وقول عنترة بن شداد يرثى مالك بن زهير [1] :

وكان فتى الهيجاء يَحْمِي ذِمارها ∴ ويَضْـرِبُ عِنْـدَ الكَرْبِ كُلَّ بَنانِ

فقوله : (كان فتى الـهيجاء يحمى ذمارها) يدل على اسـتمرار قيام مالك بالحرب وإدارتها فى الماضى .

وكذلـك قول البـلاذُرىّ (ت ٢٧٩هـ) : « فـكانت أمـوالُ بنى الـنضـير خالصةً لرسول اللهِ ﷺ ، وكان يزرع تحت النخل فى أرضهم » [2] .

فقوله : (وكان يـزرع) يدل على استمرار الزراعة تحـت النخل فى أرض بنى النضير فى عهد رسول الله ﷺ .

قام نيبز بحصر ما تـعبر عنه الأمثلة التى جمعها من النـصوص العربية التى تحـتـوى على تركـيـب (كان يَفْعَلُ) الـدال على اسـتـمرار وقوع الحـدث فى الماضى ، وذلك فى ستة معان رئيسة [3] هى :

أ - التعبير عن الحقائق الطبيعية والجغرافية والمتعلقة بالأعراق البشرية وما يشبه ذلك ، مثل :

- « وإنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة » [4] .

---

(١) ديوان عنترة : ص٣١١ ، الـبيت (٥) من القصيدة (٢٧) وهى مـن بحر الطويل . وكان فتـى الهيجاء يعنى مالك بن زهيـر أحد سادات عبس وقد قتل ، وتولى قتله بنو بدر . والـذمار : ما يجب عليه أن يغضب له ويحميه .

(٢) فتوح البلدان : ٣١ .

(٣) ينظر (مع مراعاة التصرف فى عرض الترجمة والتغيير فى بعض الأمثلة) كتاب :

Nebes, Norbert : Funktionsanalyse von kaana yaf'alu, Kapitel 4. S 79–91.

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (ط٣) : جـ١ / ص١١٣٠ .

- « وقد كان الإسكندر بن فيليبس المقدونى بَنَى الإسكندرية على هذا الخليج من النيل ، وكان يتفجَّرُ إليه معظم ماء النيل ، ويسقى بلاد الإسكندرية وبلاد مَرْيُوط » (١) .

- « فأخذ الجزية من المجوس الذين بها وَهُمْ كانوا أَهْل البلد والعربُ كانوا يكونون حولها » (٢) .

ب- التعبير عن طبيعة خاصة بالجسم ، مثل : « كان عمر يفوقُ الناسَ طولاً » (٣) .

جـ- التعبير عن حال ، مثل : « واللهِ لقد كُنَّا نَجْهَدُ » (٤) .

د - التعبير عن أحوال عقلية ونفسية ، مثل : كان يرى ، كان يظن ، كان يعرف ، كان يعلم ، كان يدرى ، كان يحب ، كان يُسْتَحَبُّ ، كان يطمع ، كان يريد ، كان يتمنى ، كان يكره ، كان يبغض ، كان يخاف كان يتخوَّف ، كان يهاب ، كان يتقى ، كان يخشى ، كان يرهب ، كان يرجو ، كان يأمل ، كان يشك . من ذلك :

- « وكان أبو بكر يختلف إلى الشَّأْمِ فكان يُعْرَفُ وكانَ النبىُّ ﷺ ، لا يُعْرَفُ » (٥) .

- « كان (ﷺ) يخاف على الذَّارارىِّ من بنى قريظة » (٦) .

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ومعادِنُ الجوهر : ١/ ١٠٠ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (ط٣) : جـ١ / ص١٦٨٦ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى : ٣/ ٢٣٥ .

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (ط٣) : جـ١ / ص١٤٨٣ .

(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى : ١/ ١٥٨ .

(٦) الكتاب نفسه : ٢/ ٤٨ .

هـ- التعبير عن القُدْرَة ، مثل :

- كان يَقْدِرُ ، كان يُطِيقُ . من ذلك : « واللهِ ما أظنُّ مقياسًا كان يَقْدِرُ على واحدةٍ » (١) .

و - التعبير عن أمور أخرى ، مثل :

- كان ينتظر ، وكان يَعُدُّ . من ذلك : « وقَدْ رأى ما كُنَّا نَصْنَعُ وأنَّا كُنَّا نَنْتَظِرُ قُدُومَ رسولِ الله ﷺ » (٢) .

يضاف إلى المعانى الستة السابقة التى حصرها نيبز معنى سابع ، وهو التعبير عن عادة ما ، مثل : قول أنس بن مالك رضي الله عنه : « كان رسولُ اللهِ ﷺ يعيد الكلمةَ ثلاثًا ؛ لتعقل عنه » (٣) .

علاوة على دلالة تركيب (كان يفعل) على استمرار وقوع الحدث فى الماضى ، كما رأينا ، يوجد ثلاث دلالات أخرى للتركيب نفسه ، يحدد جهتها ظروف الزمان أو كلمات أخرى ترد مع التركيب . والدلالات الثلاث هى :

الأولى : الدلالة على « انتهاء وقوع الحدث فى وقت معين من الماضى ، مثل : وقتذاك كان الملك يَمُرُّ به » (٤) .

الثانية : الدلالة على وقوع الحدث فى أوقات متفرقة من الماضى ؛ وذلك إذا ورد مع التركيب ظروف زمانية مثل : كثيرًا ما ، وأحيانا ، وقلَّما ونادرًا ما ، أو ما ينوب عن ظرف الزمان من كلمات دالة على

---

(١) الواقدى : المغازى : ١/ ١٤٥ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (ط٣) : ١/ ١٢٤٣ .

(٣) الترمذى : أوصاف النبىّ ﷺ : الحديث رقم (٢٢٥) ، ص٢٢٦ . أخرجه البخارى والترمذى فى جامعه .

(٤) Fischer, Wolfdietrich : Grammatik des klassischen Arabisch : § 192, S. 96.

التعدد ، مثل: مرتين ، وثلاث مرات ، وأربع مرات وغير ذلك[1] .
من ذلك : « ذُكِرَ أنَّ عُثْمانَ بن عَفَّانٍ كان يُكْتَبُ لَهُ أحيانًا » [2]

الثالثة : الدلالة على تكرار وقوع الحدث فى الماضى ، وذلك « بالاتصال بعبارات مكررة ، مثل : « ودعا برجال بنى قريظة فكانوا يخرجون رَسْلاً رَسْلاً تُضْرَبُ أعْناقُهُم » [3] ، أو بدون عبارات مكررة ، مثل : « فدخلتُ إليه فكان يُسَائِلُنى عن النَّجاشِىّ » [4] » [5] .

نفى تركيب (كان يفعل) :

ينفى هذا التركيب فى العربية بـ « كان لا يفعل ، ولم يكن يفعل ، وما كان يفعل » [6] ، مثل :

- « أتانا رسولُ اللهِ ﷺ ، بالهاجرة فى ساعةٍ كان لا يأتى فيها » [7] .
- « فإن ذلك لم يكن يحل لك فى دِينِكَ » [8] .
- « أجمع رؤساؤهم أن يغدوا يوما ، فغدوا جميعا ومعهم رؤساء سائر الأحزاب ، وطلبوا مضيقًا من الخندق يقحمون منه خيلهم إلى النبى ﷺ ، وأصحابه فلم يجدوا ذلك ، وقالوا : إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تصنعها » [9] .

---

(١) ينظر فى ذلك :

Nebes, Norbert : Funktionsanalyse von kaana yaf'lu, Kapitel 4, S. 92–95.

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (ط٤) : جـ١ / ص١٧٨٢ .

(٣) الواقدى : المغازى : ٢/٥١٣/ ٥ .

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (ط٣) : ١/ ١٥٧١ .

(٥) كتاب نيبز السابق : ٩٧ ، ٩٨ .

(٦) الكتاب نفسه : ٦٠ ، ٦١ .

(٧) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (ط٣) : ١/ ١٢٣٧ .

(٨) الكتاب نفسه (ط٤) : ١/ ١٧١٠ .

(٩) ابن سعد : الطبقات الكبرى : ٢/ ٤٨ ، ٤٩ .

سادساً : الدلالة على انتهاء وقوع الحدث فى زمنٍ ماضٍ قريب من لحظة التكلم :

وهى الدلالة الرئيسة [١] لصيغة الماضى مسبوقة بـ « قد » [٢] ، نحو قول ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) : « ثم دخلت سنةُ ست وأربعين ومائة . . . وقد ذكرْنا فى سنة خمس وأربعين ومائة السبب الباعث للمنصور على بناء مدينة بغداد ، ونذكر الآن بناءها » [٣] .

فقوله : (قد ذكرنا) يدل من خلال سياق الأحداث التاريخية والقرائن اللفظية على انتهاء ذكره السبب الباعث للمنصور على بناء بغداد فى زمن ماض قريب من لحظة تكلمه ، وهى قوله : (ونذكر الآن بناءها) .

ولتركيب (قد فعل) أربع دلالات أخرى فرعية ؛ يقترب ثلاث منها من الدلالة الرئيسة ، وتبعد واحدة عنها . ويذكر فيما يلى هذه الدلالات الفرعية ويراعى فى ترتيبها مدى قربها من الدلالة الرئيسة فبعدها عنها :

الأولى : الدلالة على وقوع الحدث فى الماضى القريب المتصل بالحاضر :

ويمثل ڤولفديترش فيشر [٤] لهذه الدلالة بقول أحد الأشخاص : « قَدْ جُعْتُ » . فلا شك أن حدث الجوع وقع فى الماضى القريب ولا يزال هذا

---

(١) إن معظم الدلالات الأخرى الفرعية التى سترد بعد ذلك ، تدور فى فلك هذه الدلالة الرئيسة .

(٢) يرى سيبويه (فى الكتاب : ٤/ ٢٢٣) أن تركيب (قد فعل) يستعمل جوابا لقول القائل : لَمَّا يفعلْ . يقول سيبويه : « وأمَّا (قَدْ) فجواب لقوله : لَمَّا يفعلْ ، فتقول : قَدْ فَعَل » . ويذكر ابن مالك (فى شرح التسهيل : ٤/ ١٠٨) أن (قَدْ) « تكون حرف تقريب ؛ فتدخل على فعل ماض متصرف متوقع ، أى منتظر ؛ لتقريبه من الحال » .

(٣) الكامل فى التاريخ : ٥/ ٥٧٣ ، ويوجد أيضًا مثالان آخران على هذا فى الكتاب نفسه : ٥/ ١٣٨ ، ٦/ ٧ .

(٤) Fischer, Wolfdietrich : Grammatik des klassischen Arabisch : § 189, S. 94, 4 v.u.

الحدث مستمراً فى لحظة تكلم هذا الشخص . وهذا يعنى أنه جاع منذ وقت قريب وأنه يحس الآن أيضًا الجوع .

الثانية : الدلالة على وقوع الحدث فى المستقبل القريب :

ويمثل رايت [1] لدلالة تركيب (قد فَعَل) على المستقبل القريب [2] بقول المؤذن قبيل قيام الصلاة : « قَدْ قامتِ الصلاةُ [3] وبأمثلة أخرى ، منها :

« أمَّا الوِلاَيَةُ فَقَدْ وَلَّيْتُ ابْنَكَ مِصْرَ » .

« قَالَ لَهُ : وَعَدْتَ هذا ، فقال : قَدْ وَفَّيْتُ المَوْعُودَ » .

الثالثة : الدلالة على وقوع الحدث فى زمن ما قبل الماضى :

وذلك إذا ورد تركيب (قد فعل) جملة حالية مسبوقة بواو الحال ، ودلَّ فعلُ الجملة الرئيسة على الزمن الماضى .

---

(١) WRIGHT, W. : A grammar of the Arabic Language : § 2, p. 3.

(٢) The future one.

(٣) أدرك النحاة العرب الدلالة الزمنية لـ « قد فَعَل » فى هذا المثال على المستقبل القريب وإن اختلفوا فى التعبير عنه والنص عليه صراحة ؛ فيرى الخليل بن أحمد أن معنى تركيب (قد فعل) هو التوقع ؛ « يقال : « قد فعل » لقوم ينتظرون الخبرَ ، ومنه قول المؤذن : قد قامت الصلاة ؛ لأن الجماعة منتظرون لذلك ، وقال بعضهم : تقول : « قد ركِبَ الأميرُ » لمن ينتظر ركوبه » .

ذكر هذا الرأى ابن هشام الأنصارى (فى مغنى اللبيب : ١/ ١٧١ ، ١٧٢) وعلق عليه بقوله : « وقد تبين بما ذكرنا أن مراد المثبتين لذلك أنها تدل على أن الفعل الماضى كان قبل الإخبار به متوقَّعًا ، لا أنه الآن متوقع . والذى يظهر لى قول ثالث ، وهى أنها لا تفيد التوقع أصلاً . . . وعبارة ابن مالك فى ذلك حسنة فإنه قال : إنها تدخل على ماض متوقع ، ولم يقل إنها تفيد التوقع » . (ينظر فى ذلك : شرح التسهيل لابن مالك : ٤/ ١٠٨) .

أما ابن يعيش فيذكر (فى شرح المفصل : ٢/ ٦٦) أن الفعل الماضى « إنْ جئت معه بقد جاز أن يقع حالاً ؛ لأن (قد) تقربه من الحال . الا تراك تقول : قد قامت الصلاة قبل حال قيامها » .

مثل ذلك قول امرئ القيس [1] :

فجئتُ وَقَدْ نضَّتْ لِنَوْمٍ ثيابَها ∴ لدى السِّتْرِ إلاَّ لبسةَ المُتَفَضِّلِ

من سياق هذا البيت يتضح أن حدث الجملة الحالية (خَلْع الثياب فى قوله : وقد نضت لنوم ثيابها) وقع زمنيًا قبل وقوع حدث الجملة الرئيسة (مجئ الشاعر فى قوله : فجئتُ) بقليل .

وكذلك قول ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) :

« وكان ابن أُبى العَوْجاء قد أرسل إلى محمد بن سليمان [2] يسأله أن يؤخره ثلاثة أيام ويعطيه مائة ألف ، فلما ذكر لمحمد أَمَرَ بقتله . . . وورد كتاب المنصور إلى محمد يأمره بالكف عنه ، فوصل وقد قتله » [3] .

من تسلسل الأحداث التاريخية لهذا النص يتضح أن حدث الجملة الحالية (قتل ابن أبى العوجاء فى قوله : وقد قتله) وقع زمنيًا قبل وقوع حدث الجملة الرئيسة (وصول كتاب المنصور فى قوله : فوصل) بقليل .

ففى كل من البيت والنص السابقين جملة مركبة من جملة رئيسة يدل فعلها على الزمن الماضى ، وأخرى فرعية (حالية) يدل فيها تركيب (قد فعل) على زمن ما قبل الماضى علاوة على تضمن التركيب نفسه جهة قرب مما يليه زمنيا وهو الماضى .

---

(١) ديوان امرئ القيس : ص٣٥، البيت ٢٦ من معلقته ، وهى من بحر الطويل اللغة : نضت : خلعت . والمتفضل : اللابس ثوبا واحدًا إذا أراد الخفة . معنى البيت : أتيتها وقد خلعت ثيابها عند النوم غير ثوب واحد تنام فيه . وقد وقفت عند الستر مترقبة ومنتظرة لى . وإنما خلعت الثياب لتُرِى أهلها أنها تريد النوم . (ينظر شرح الديوان : ٣٥) .

(٢) هو محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس ، والى الكوفة فى عهد الخليفة العباسى المنصور .

(٣) الكامل فى التاريخ : ٦/ ٧ .

الرابعة : الدلالة على تحقق وقوع الحدث[1] فى الماضى :

وهى دلالة تركيب « قد فعل »[2] فى نحو « قولك : قد قام زيدٌ فى تقدير جواب مَنْ قال : هل قام زيدٌ أو لم يقم ، فـ « قد » فى تقدير الجواب : حققت القيامَ »[3] .

مثل ذلك قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ التى تُجَادِلُكَ فى زَوْجِها ﴾[4].

ففى (قد سمع) دلالة على تحقق وقوع السَّماع فى الماضى .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ ومِنْهُمْ مَنْ لم نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[5] .

ففى (ولقد أرسلنا) دلالة على تحقق وقوع إرسال الرسل فى الماضى .

إن ما توصل إليه هذا البحث من أن لتركيب (قد فعل) دلالة رئيسة وهى انتهاء وقوع الحدث فى زمن ماضٍ قريب من لحظة التكلم وأن معظم دلالاته الفرعية تدور حول هذه الدلالة التى لا تؤديها صيغة (فَعَل) دون (قد) ،

---

(١) معنى تَحَقُّق وقوع الحدث : « تقرير معناه ونفى الشك عنه » (ينظر : شرح التسهيل لابن مالك : ٤/١٠٨) .

(٢) تُؤَدَّى هذه الدلالة أيضًا بصيغة الماضى مسبوقة بـ (هل) التى تأتى لتقرير الخبر كما فى قوله تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شَيْئًا مذكورًا ﴾ (الآية الأولى من سورة الإنسان) . أوضح ابن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ) معنى تركيب (هل فعل) فى هذه الآية بقوله (فى جامع البيان فى تفسير القرآن : جـ٢٩ / ص١٢٥) : « يعنى جَلَّ ثناؤه بقوله (هل أتى على الإنسان) : قد أتى على الإنسان . وهل فى هذا الموضع خبر لا جحد ، وذلك كقول القائل يقرّره : هل أكرمتك ، وقد أكرمه أو هل زرتك ، وقد زاره » .

(٣) المالقى : رصف المبانى فى شرح حروف المعانى : ٤٥٥ .

(٤) سورة المجادلة ، الآية ١ .

(٥) سورة غافر ، الآية ٧٨ .

وكذلك ما رآه ابن هشام الأنصارى من أن هناك فرقًا فى الدلالة الزمنية بين (فَعَل) و (قد فعل)[1] ، وما لا حظه ڤولفديترش فيشر من أن « وظيفة صيغة الماضى فى الحكاية [2] لا تؤدَّى بـ « قَدْ » [3] » إنما تؤدَّى بصيغة (فَعَل) دون (قد) ، إن هذا كله ينفى ما قاله الدكتور مالك المطلبى من أن « المركب « قد فَعَل » شأنه شأن صيغة « فعل » يدل على ماض قد يكون مطلقا أو قريبًا أو بعيدًا » [4] .

سابعاً - الدلالة على الزمن الماضى الدائم :

تدل صيغة الماضى على الزمن الماضى الدائم إذا وردت فى واحد من السياقين التاليين :

الأول : إذا وردت فى سياق الحديث عن صفات الله تعالى :

من ذلك قوله تعالى :

١ - ﴿ وَكانَ اللهُ سَمِيعًا بَصِيراً ﴾ [5] .

فصيغة الماضى فى قوله « وكان » [6] تدل على الماضى الدائم فى ضوء سياق الحديث عن صفتين من صفات الله تعالى ، وهما (سميع وبصير) .

---

(١) يرى ابن هشام (فى مغنى اللبيب : ١/ ١٧٢) أنك « تقول : « قام زيد » ، فيحتمل الماضى القريب والماضى البعيد ، فإن قلت : « قد قام » اختص بالقريب » .

(٢) Die Erzählfunktion.

(٣) FISCHER, WOLFDIETRICH : Grammatik des klassischen Arabisch. § 189. S. 94. Z 4, v.u.

(٤) الزمن واللغة : ٢٣٣ .

(٥) سورة النساء ، الآية ١٣٤ .

(٦) ذكر السيوطى (فى همع الهوامع : ٢/ ٩٩) أن (كان) تختص « بمرادفة لم يَزَلْ كثيراً ، أى أنها تأتى دالة على الدوام ، وإن كان الأصل فيها أن يدل على حصول ما دخلت عليه فيما مضى مع =

٢ - ﴿ فكفى بالله شَهِيدًا ﴾ [١] .

فصيغة الماضى فى قوله « فكفى » تدل علـى الماضى الدائم فى ضوء سياق الحديث عن صفة من صفات الله تعالى ، وهى (الكافى) .

٣ - ﴿ فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ ﴾ [٢] .

فصيغة الماضى فى قوله « فتعالى » تدل علـى الماضى الدائم فى ضوء سياق الحديث عن صفـة من صفات الله عـز وجل ، وهى الترفُّع ، فهو المُتَعالى « الذى جَلَّ عن إفك المفترين وتنزه عن وساوس المتحَيرين » [٣] .

فالقرينة فى الآيات الثلاث السابقة هى الحقيقة الدينية بأن صفات الله تعالى قديمة ودائمة . وزمـن صيغة الماضى فى هذه الآيات « عبـارة عن وجود الشىء فى زمان ماض على سبـيل الإبهام ، فليس فيه دليل علـى عدم سابق ولا على انقطاع طارئ » [٤] .

= انقطاعه عند قوم ، وعليه الأكثر ، كما قال أبـو حيّان . أو سكوتها عن الانقطاع وعدمه عند آخرين ، وجزم به ابن مالـك . ومن الدالة على الدوام الواردة فى صـفات الله تعالى نحـو ﴿ وكان اللهُ سميعًا بصيرًا ﴾ ، أى : لم يزل متصفا بذلك » .

(١) سورة يونس ، الآية ٢٩ . وفى بيان الدلالة الزمنية لصيغة الماضى فى قوله (فكفى) يقول القيسى (فى مشكل إعـراب القرآن : القسم الاول : ٣٤٤) إن « الله تـعالى لم يزل هو الـكافى بمعنى سـيكفى لا يحول عن ذلك أبدًا » .

(٢) سورة طه ، الآيـة ١١٤ . يفسر الزمخـشرى (فى الكشـاف : ٤/٤٧) قوله عز وجل ﴿ فتـعالى الله الملك الحق ﴾ بأنه « استعظام له ولما يصرف عـليه عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده والإدارة بين ثوابه وعقابه على حسب أعمالهم وغير ذلك مما يجرى عليه أمر ملكوته » .

ويرى روكن SOCIN (فى كتـابه : Arabische Grammatik, § 98, S. 90) أن صيـغة الماضى « يُعَبَّر بها عن حدث أو حال وُجِدَ منذ القِدَم ولا يزال باقيًا أيضاً . . نحو : « اللهُ تعالَى » » .

(٣) ابن منظور : لسان العرب : ١٩/٣١٨ .

(٤) الزمخـشرى : تفسيـر الكشاف : ١/٣٠٧ (المطبعـة البـهيـة المصـرية) . وينظر : الـنواسخ الفعـلية والحرفية ، دراسة تحليلية مقارنة لأحمد سليمان ياقوت : ٦٤ .

الآخر : إذا وردت صيغة الماضى فى سياق الأمثال :[1]

نحو « أنجز حرٌّ ما وَعَدَ »[2] .

فصيغة الماضى فى قوله (أنجز حر) تدل على الماضى الدائم فى ضوء سياق هذا المثل .

فصيغة الماضى فى المثل تدل على وقوع حدث فى نقطة زمنية معينة من الماضى ، وهى المناسبة التى قيل فيها المثل أول مرة ، ولا يزال وقوعه مستمرًا كلما أتت مناسبة مشابهة للأولى .

* * *

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

---

(١) يعرف المبرد المثل بقوله : « المثل مأخوذ من المِثال ، وهو قول سائر يُشبَّه به حالُ الثانى بالأول » ويقول ابن السِّكيت فيه : « المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ » . (ينظر : مجمع الأمثال للميدانى : المجلد الأول : ص٥) .

(٢) يوضح المفضل الضبى أصل هذا المثل بقوله : « أولُ من قال ذلك الحارث بن عمرو آكل المُرَار الكندى لصَخْر بن نهشل بن دَارم ، وذلك أن الحارثَ قال لصخر : هَل أدلُّك على غنيمة على أن لى خُمُسَها ؟ فقال صخر : نَعَمْ ، فدلَّه على ناسٍ من اليمن ، فأغار عليهم بقومه ، فظفرُوا وغنموا ، فلما انصرفوا قال له الحارث : أنجز حُرٌّ ما وَعَد ، فأرسلها مثلاً » . (ينظر : مجمع الأمثال للميدانى : المجلد الثانى : ٣٣٢) .

ويرى دينز DENZ (فى كتابه : Die Struktur des klassischen Arabisch, S. 71) أن « الترجمة المناسبة لهذا المثل هى : Noch immer hat ein Edler gehalten, was er versprochen » أى : أنجز حُرٌّ ما وَعَدَ دائمًا ولا يزال » .

القسم الثانى
دلالة صيغة الماضى على ما قبل الزمن الماضى

تدل صيغة الماضى على ما قبل الزمن الماضى [1] إذا وردت فى مواضع معينة توضح بالتفصيل فيما يلى :

الأول : إذا وردت صيغة الماضى قبل الحرف حتى [2] متلوًا بصيغة ماض :

لم أقف حتى الآن على رأى قال بأن صيغة الماضى تدل على ما قبل الزمن الماضى فى هذا الموضع ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا على ما كُذِّبُوا وأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [3] .

فقد وقع إيذاء المكذَّبين بالرسل لهم قبل مجئ نصر الله لهم فى الماضى .

وكذلك قول ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) : « وأما عِمْران [4] فسار حَتَّى لَحِقَ بالزَّاب ، فأقام به حتى مات إبراهيم » [5] . فسير عمران حدث وقع قبل زمن لحاقه بالزاب ، وإقامته به حدث سابق على زمن موت إبراهيم فى الماضى .

---

(١) Die Vorvergangenheit.

(٢) (حتى) هنا استئنافية ؛ يقول إبن هشام الأنصارى (فى مغنى اللبيب ١/١٢٨) : « من أوجه حتى أن تكون حرف ابتداء أى حرفاً تبتدأ بعده الجمل ، أى تستأنف » . .

(٣) سورة الأنعام ، آية ٣٤ .

(٤) هو عمران بن مَخْلد ، وكان من بطانة إبراهيم بن الأغلب والى الرشيد على إفريقية ، وتوفى إبراهيم سنة ١٨١هـ (ينظر : الكامل فى التاريخ لابن الأثير : ٦/١٥٦) .

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٦/١٥٧ ، ويوجد مثال آخر على ذلك فى الكتاب نفسه : ٦/٣١٣ .

الثاني : إذا وردت بعد ظرف المكان « حيث » مسبوقا بصيغة ماض : [1]

نحو : « جلس خالدٌ حَيْثُ جلس أبوه » [2] . فجلوس الأب حدث وقع قبل زمن جلوس خالد فى الماضى .

الثالث : إذا وردت تالية لـ « بعدَما » [3] تسبقهما صيغة ماض :

نحو قول الأعشى الكبير : [4]

ونَحْنُ فككْنَا سيِّدَيْكُمْ فأرْسلاَ ∴ من المَوْت لَمَّا أسْلمَا شَرَّ مُسْلَمِ

تَلاَفاهُما بِشْرٌ من الموت بَعْدَمَا ∴ جَرَتْ لَهُمَا طَيْرُ النُّحُوسِ بأشْأمِ

الرابع : إذا وردت بعد ظرف الزمان « حين » [5] مسبوقا بصيغة ماض :

نحو قول ابن إسحاق (ت ١٥١هـ) :

---

(١) أشار إلى هذا الموضع وما يليه وليم رايت W. WRIGHT فى كتابه :

A grammar of Arabic Language, § 3, p. 4.

وكذلك ڤولفديترش فيشر WOLFDIETRICH FISCHER فى كتابه :

Grammatik des klassischen Arabisch, § 183, S. 92.

(٢) جملة (جلس أبوه) تقع فى محل جر بإضافة (حيث) إليها .

(٣) بعدَ : ظرف زمان منصوب ، وما مصدرية غير زمانية والمصدر المؤول من ما والفعل الماضى مجرور بإضافة (بعد) إليه (ينظر : مغنى اللبيب لابن هشام : ٣١١/١ ، وهمع الهوامع للسيوطى : ١٩١/٣ - ١٩٣) .

(٤) ديوان الأعشى الكبير (ميمون ن قيس) : ص١٧٧ ـــ قصيدة ١٥ - البيتان ٥٨ ، ٥٩ ، وهما من بحر الطويل .

يفتخر الأعشى فى هذه القصيدة بقومه ويهجو بنى سعد بن قيس قائلاً لهم : نحن الذين فككنا سيديكم ، فأطلقناهما بعد أن أسلمتموهما للعدو وتخليتم عنهما ، وأنقذهما « بشرٌ » من الموت ، بعدما أصابهما النحس وأدركهما الشؤم (ينظر : شرح الديوان نفسه : ص١٧٦ وهامش ١٧٧) .

(٥) تكون الجملة الفعلية بعد (حين) فى محل جر بإضافة حين إليها .

« عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن أباه عبد الله ، وكان قائد أبيه حين أصيب بصرُه ، قال : سمعت أبى ، كعبَ بنَ مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك ، وحديث صاحبيه قال : ما تخلفت عن رسول الله ﷺ فى غزوة غزاها قط ، غير أنى كنت قد تخلفت عنه فى غزوة بدر وكانت غزوة لم يعاتب اللهُ ولا رسولُه أحداً تخلَّف عنها » [1] .

فصيغة الماضى التى وردت بعد (حين) فى قوله : « أصيب بصره » تدل على ما قبل الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « كان قائد أبيه » ، وفى قوله : « تخلف عن رسول الله ﷺ » تدل كذلك على ما قبل الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « سمعت أبى » .

ومثل ذلك قول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) فى كتاب القيان [2] :

« إنَّ القينة لا تكاد تخالص فى عشقها . . . فإذا شاهدها المشاهدُ رامته باللَّحظ . . . وأوهمته أنَّ الذى بها أكثر مما به منها ثم كاتبته تشكو إليه هواه . . . والحَّتْ فى اقتضاء جوابه ، فإن أجيبت عنه ادَّعت أنها قد صيَّرت الجواب سلوتها وأقامت الكتاب مقام رؤيته ، وأنشدت :

وصحيفةٍ تحكى الضميـ ـرَ مليحةٍ نغماتُها
جاءت وقد قَرِح الفؤا دُ لطول ما استبْطاتُها
فَضحكتُ حين رأيتُها وبكيت حينَ قرَاتُها [3] »

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية : ٤/ ١٧٥ .

(٢) رسائل الجاحظ : ٢/ ١٧١ / ١٧٢ .

(٣) هذه الأبيات التى رواها الجاحظ فى رسائله (٢/ ١٧١) من مجزوء الكامل .

ففى البيت الأخير تدل صيغة الماضى بعد (حين) على وقوع حدث (الرؤية) قبل الزمن الماضى المتمثل فى قول القينة : « ضحكتُ » ، وكذلك وقوع حدث (القراءة) قبل الزمن الماضى المتمثل فى قولها : « بكيتُ » .

الخامس : إذا وردت بعد ظرف الزمان « لمّا » :[1]

نحو قوله تعالى على لسان الجن : ﴿ وأنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الهُدَى آمنَّا به ﴾ [2] .

فصيغة الماضى الواردة بعد (لَمَّا) فى قوله تعالى (سمعنا الهدى) تدل على وقوع حدث السماع قبل الزمن الماضى المتمثل فى قوله (آمنا به) .

وكذلك قول عبد الملك بن هشام : « فلمَّا قُتِلَ جَعْفَرُ أخذ عبدُ الله بن رَواحة الراية ، ثم تقدَّم بها ، وهو على فرسه » [3] .

---

(١) يرى سيبويه (فى الكتاب : ٤/ ٢٣٤) أن لَمَّا « للأمر الذى قد وقع لوقوع غيره ، وإنما تجئ بمنزلة لو لما ذكرنا ، فإنما هما لابتداء وجواب » .

يفهم من قول سيبويه هذا أن حدث صيغة الماضى الوارد بعد (لما) يقع زمنيا قبل الحدث الدال على الماضى فى جملة جوابها وأن (لما) حرف شرط .

أما أبو على الفارسى فيرى أن (لما) ظرف زمان بمعنى (إذْ) فيه معنى الشرط ، وذكر رأيه ابنُ مالك (فى شرح التسهيل : ٤/ ١٠٢) ، يقول إن لما « تدل على وجوب شىء لوجوب غيره ، ولا يلزمها إلاَّ فعل ماض لفظا ومعنى ، وهى حرف يقتضى فيما مضى وجوبا لوجوب عند سيبويه ، وظرف بمعنى « إذ » فيه معنى الشرط عند أبى على » . وأظن أن ابن هشام الأنصارى توهم حين نسب رأى أبى على الفارسى هذا لابن مالك ؛ يقول ابن هشام (فى مغنى اللبيب : ١/ ٢٨٠) :

« زعم ابن السراج وتبعه الفارسى وتبعهما ابن جنى وتبعهم جماعة أنها (أى لما) ظرف بمعنى حين ، وقال ابن مالك : بمعنى إذ ، وهى حسن ؛ لأنها مختصة بالماضى وبالإضافة إلى الجملة » . والقول أنها بمعنى (إذ) منسوب إلى أبى على فى حديث ابن مالك السابق .

ونص ركندورف RECKENDORF (فى كتابه Arabische Syntax, § 7, S. 11) على دلالة صيغة الماضى بعد (لما) على ما قبل الزمن الماضى .

(٢) سورة الجن ، الآية ١٣ .

(٣) السيرة النبوية : ٤/ ٢١ .

فحدث (مقتل جعفر) وقع قبل زمن أخذ عبد الله بن رواحة الراية فى الماضى .

السادس : إذا وردت فى جملة صلة الموصول مسبوقا ، أى اسم الموصول ، بصيغة ماض:

نحو قول ابن الأثير :

« وأمر المأمونُ فكتبَ به [1] إلى جميع العمال فى النواحى ؛ فسار عبدُ الله [2] إلى عمله ، فاتَّبع ما أُمِرَ به ، وعُهِد إليه ، وسار بسيرته [3] » . فتدل صيغة الماضى فى قوله : « ما أُمِر به » على وقوع حدث قبل الزمن الماضى الذى يمثله قوله : « اتَّبع » .

السابع : إذا وردت ضمن التراكيب الفعلية التالية :[4]

١ - كان فَعَل .

٢ - كان قد فَعَل .

---

(١) الضمير فى به يعود إلى الكتاب الذى كتبه طاهر بن الحسين (سنة ٢٠٦هـ) إلى ابنه عبد الله وقد جمع فيه كل ما يحتاج إليه الأمراء من الآداب والسياسة وغير ذلك (ينظر : الكامل فى التاريخ لابن الأثير : ٦/ ٣٩٤ - ٣٧٧) .

(٢) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين الذى تولى حكم مصر أيام الخليفة المأمون سنة ٢٠٦هـ (ينظر الكامل فى التاريخ لابن الأثير : ٦/ ٣٦٣ ، ٥٢٧) .

(٣) الكامل فى التاريخ : ٦/ ٣٧٧ .

(٤) يتكون كل واحد من هذه التراكيب أساسًا من (كان) واسمها وخبرها جملة فعلية فعلها ماض .
ذهب نيبز NEBES (فى كتابه Funktionsanalyse von kaana yaf'alu, am Rand der Seite 146) إلى أن « أوصاف الخلفية الخاصة فى العربية القديمة تُؤدَّى بـ (قد كان فَعَل) و (كان فَعَل) و (قد فَعَل) وكذلك بالصيغة البسيطة (وفَعَل) أيضاً » .

٣ - قد كان فَعَل .

٤ - قد كان قد فَعَل .

٥ - كان قد كان فَعَل .

وبيان دلالة هذه التراكيب على ما قبل الزمن الماضى كما يلى :

١ - دلالة التركيب (كان فعل) :

تتفرع دلالة هذا التركيب على ما قبل الزمن الماضى إلى دلالتين :

الأولى : الدلالة على وقوع حدث بعيد من الزمن الماضى ، وهى الدلالة الغالبة على هذا التركيب فى الاستعمال ، نحو قول عبد الملك بن هشام (ت ٢١٣هـ) فى أحداث فتح مكة فى رمضان سنة ثمان للهجرة : « حدثنى رجل من قريش من أهل العلم أن صفوان [١] قال لعُمَيْر [٢] : وَيْحَكَ ! اغْرُبْ عنِّى ،

- ويُضافُ إلى هذه التراكيب الفعلية التى تؤدّى أوصافَ الخلفيةَ فى الحكاية كلٌّ من التركيب : (كان قد فعل) و (قد كان قد فَعَل) و (كان قد كان فَعَل) .

وما ذهب إليه نيبز مكمِّلٌ لما ذكره ڤينرش WEINRICH (فى كتابه : Tempus. Besprochene und erzählte Welt. Sprache und Literatur 16, S. 93) من أن « الماضى المستمر (ويدل عليه « كان يفعل » فى العربية) يمثل زمن الخلفية فى الحكاية ، أما الماضى البسيط (ويدل عليه « فَعَل » فى العربية) فيمثل زمن المقدمة فيها . . . وأن الجميع خلفية ما وقعوا فى الماضى المستمر وأن الجميع مقدمة ما وقعوا فى الماضى البسيط . ولا توجد قوانين ثابتة لتقسيم الماضى المستمر والماضى البسيط إلا إذا وردا مقترنَيْنِ أساسًا » .

وأشار جروس GROSS (فى مقالته : Verbform und Funktion wayyiqtol für die Gegenwart, S. 74) إلى أن « المقدمة » و « الخلفية » ليستا مقولتين نحويتين حقا ، بل هما مقولتان تخصان علم الأدب . ولكنهما يستخدمان أيضا فى وصف الظواهر النحوية .

(١) هو صفوان بن أمية .

(٢) هو عُمَيْر بن وهب .

فلا تكلمْنى ، فإنك كـذاب ؛ لِما كان صـنـع بـه ، وقد ذكرناه فى آخر حديث يوم بدر » [1] .

فقولـه « كان صنع بـه » يدل على وقـوع حدث بعيـد من الزمن المـاضى المتمثـل فى قوله : « قال لعمـير » . فالحدث الأول وقع فى غـزوة بدر (سنة ٢هـ) والآخر وقع فى فتح مكة (سنة ٨هـ) .

الأخرى : الدلالة على وقوع حدث قريـب من الزمن الماضى ، وهو أقل ورودًا فى الاستعمال من سابقتها . ومن ذلك قول البلاذرىّ (ت ٢٧٩هـ) :

« وقَتَل علىٌّ بـنُ أبى طالب رضي الله عنه الحُوَيْرثَ بـن نقيذ بن بـجير بن عـبد بن قصى ، وكان النبىُّ ﷺ أمَرَ أن يقتله مَن وَجَدَه » [2] .

فقوله : « كان النبىُّ ﷺ أمر » يدل عـلى وقوع حدث قريب من الزمن الماضى المتمثل فى قوله « قتل » .

٢ - دلالة التركيب (كان قد فعل) :

تتفرع دلالة هذا التركيب على ما قبل الزمن الماضى إلى دلالتين :

الأولى : الدلالة عـلى وقوع حدث قـريب من الزمـن الماضى ، وهى الـدلالة الغالبة على هذا التركيب فى الاستعمال ، نحو قول جابر بن عبد الله فى غزوة حنين : « انـحدرنا فى واد من أوديـة تِهامة . . . وكان الـقومُ قد سبقـونا إلى

---

(١) السيرة النبوية : ٤/ ٦٠ . وتوجد أمثلة أخرى على هذه الدلالة فى الكتاب نفسه : ٤/ ٧٤ ، وفى الطبقات الكبرى لابن سعد : ٢/ ٣٣ ، وفتوح البلدان للبلاذرى : ٣٧ ، ١٩٥ ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير : ٦/ ٢٣٩ .

(٢) فتوح البلدان : ٥٤ ، ويوجد مثال آخر على ذلك فى الكتاب نفسه : ١٧ .

الـوادى ، فكمَنُوا لنا فى شِعابـه وأحنائـه ومضايقـه »[1] .

فقوله : « كان القوم قد سبقونـا » يدل على وقوع حدث قريب من الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « انحدرنا » .

الأخرى : الدلالة على وقـوع حدث بعيد من الزمن المـاضى ، وهى أقل ورودًا فى الاستـعمال من سابقـتها . مـن ذلك قـول ابن هشام : « وكان الفـاكهُ بن المغيرة بن عبـد الله بن عمر بن مخزوم ، وعوف بن عبـد عوف بن عبد الحارث ابن زُهرة وعفّانُ بـن أبى العاص بن أمية بـن عبد شمس قد خـرجوا تجارًا إلى اليمن . . . فلما أقـبلوا حملوا مالَ رجل من بنى جذيمـة بن عامر ، كان هلك باليمن ، إلى ورثته »[2] .

فقولـه : كان الفاكهُ . . . قـد خرجوا » يدل عـلى وقوع حدث بعـيد من الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « حملوا » .

٣ - دلالة التركيب(قد كان فعل) :

تتفرع دلالة هذا التركيب على ما قبل الزمن الماضى إلى دلالتين :

الأولى : الدلالة عـلى وقوع حدث قـريب من الزمـن الماضى ، وهى الـدلالة الغالبة على هذا التركيب فى الاستعمال ، نحو قول ابن هشام فى غزوة تبوك : « استتب برسول الله ﷺ سفرُه ، وأجمـع السَّيرَ . وقدكان نَفَرٌ من المسلمين

---

(١) ابن هشـام : السيرة النبـوية : ٤/ ٨٥ . وتوجد أمثـلة أخرى على هذه الـدلالة فى الكتاب نـفسه : ٤/ ٤٩ ، ٥١ ، ٢٠٦ ، وفى الطبقات الكبرى لابن سعد : ٢/ ٢٧ ، وفتوح البلدان للبلاذرىّ : ٥٣ ، ٢٤٢ ، والكامل لابن الأثير : ٤/ ١٠٩ ، ٦/ ٧٢ .

(٢) السيرة النبويـة : ٤/ ٧٤ . ويوجد مثالان آخران على هذه الدلالة فى الـكتاب نفسه : ٤/ ١٧٥ ، وفى فتوح البلدان للبلاذرى : ١٧ .

أبطأتْ بهم النيَّةُ عن رسول الله ﷺ ، حتى تخلفوا عنه عن غير شك ولا ارتياب » [1] .

فقوله : « قد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية » يدل على وقوع حدث قريب من الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « استتب سفره وأجمع السير » .

والأخرى : الدلالة على وقوع حدث بعيد من الزمن الماضى ، وهى أقل وروداً فى الاستعمال من سابقتها . من ذلك قول ابن إسحاق : « وكان رسول الله ﷺ ، قد عَهِد إلى أمرائه من المسلمين ، حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلاَّ أنه قد عهد فى نفر سمَّاهم أمر بقتلهم . . . منهم عبد الله بن سعد أخو بنى عامر بن لؤى . . . لأنه قد كان أسلم ، وكان يكتب لرسول الله ﷺ ، الوحىَ ، فارتدَّ مشركًا راجعًا إلى قريش » [2] .

فقوله : « قد كان أسلم » يدل على وقوع حدث بعيد من الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « فارتدَّ مشركا » .

٤ - دلالة التركيب (قد كان قد فعل) :

هذا التركيب قليل الورود فى الاستعمال ، ويدل على وقوع حدث قريب من الزمن الماضى ، نحو قول ابن إسحاق : وقد كان قُطْبة بن قَتَادة العُذْرىّ الذى كان على ميمنة المسلمين ، قد حمل على مالك بن زافلة فقتله » [3] .

---

(١) السيرة النبوية : ٤/ ١٦٢ . وتوجد أمثلة أخرى على ذلك فى الكتاب نفسه : ٤/ ٧٣ ، ١٧٥ ، وفى فتوح البلدان للبلاذرىّ : ٣٧ ، ٢٠٧ ، ٢٥٢ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية : ٤/ ٥١ ، ٥٢ . ويوجد مثال آخر على ذلك فى فتوح البلدان للبلاذرى : ١٠٠ .

(٣) الكتاب نفسه : ٤/ ٢٣ . وتوجد أمثلة أخرى على ذلك فى الكتاب نفسه : ٤/ ٢٤ ، وفى المغازى للواقدى : ٨٢٣ ، ٩٦٩ ، ٩٧٤ .

کتابخانه و مرکز اطلاع رسانی
بنیاد دایرة المعارف اسلامی

فقوله : « قد كان قطبة . . . قد حمل » يدل على حدث قريب من الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « فقتله » .

والملاحظ على تركيب (قد كان قد فعل) أن « قد » تكرر ورودها فى جملة خبر كان ، وربما وقع التكرار لبُعْد المسافة بين « قد كان » وجملة الخبر كما هو واضح من المثال السابق وغيره ، ولغرض توكيد جهة قرب وقوع الحدث من الزمن الماضى .

٥ - دلالة التركيب (كان قد كان فعل) :

وهو تركيب نادر الاستعمال فيما أظن ؛ فلم أعثر فيما قرأت إلاَّ على مثال واحد منه ، يدل على وقوع حدث بعيد من الزمن الماضى ، وهو قول ابن إسحاق فى أمر مسجد الضِّرَار عند رجوع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك : « أقبل رسول الله ﷺ ، حتى نزل بذى أوان ، بلد بينه وبين المدينة ساعةٌ من نهار ، وكان أصحابُ مسجد الضِّرَار قد كانوا أتوه وهو يتجهَّز إلى تبوك فقالوا : يا رسول الله ، إنا قد بنينا مسجدًا لذى العلَّة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، وإنانحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه ، فقال إنى على جَناح سَفَر وحال شغل » [1] .

فقوله : « كان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه » يدل على وقوع حدث بعيد من الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « نزل بذى أوان » .

* * *

(١) ابن هشام : السيرة النبوية : ٤/ ١٧٣ .

القسم الثالث
دلالة صيغة الماضى على الزمن الحاضر

تدل صيغة الماضى على الزمن الحاضر إذا وردت فى سياقات معينة توضح فيما يلى :

أولاً : إذا وردت صيغة الماضى فى سياق الإنشاء الإيقاعى [1] ، مثل قولك فى سياق إيقاع البيع والشراء : « بعتُكَ كذا » أو « اشتريتُ منك كذا » وفى سياق التطليق : « طلقتُ فلانة » ، والتزويج : « زوَّجتُك فلانة » ، من ذلك قول رسول الله ﷺ لرجل فقير طلب أن يتزوج امرأة وهبت نفسها لرسول الله ﷺ : « . . . أمعك من القرآن شىءٌ ؟ قال : نعم ، سورة كذا وسورة كذا ، لسور سماها ، فقال :

---

(١) يرى ابن مالك (فى شرح التسهيل : ١/ ٢٩ ، ٣٠) أن الماضى ينصرف « إلى الحال بالإنشاء . . . . (و) الإنشاء فى اللغة مصدر أنشأ فلان يفعل كذا ، أى ابتدأ ، ثم عُبِّر به عن إيقاع معنى بلفظ يقارنه فى الوجود كإيقاع التزويج بزوّجت والتطليق بطلّقت ، والبيع ببعت واشتريت . فهذه الأفعال وأمثالها ماضية اللفظ حاضرة المعنى ؛ لأنها قصد بها الإنشاء ، أى إيقاع معانيها حال النطق بها » .

ويوضح الرضى (فى شرح الكافية : ٢/ ٢٢٥) الفرق الدلالى بين صيغة الماضى المستعملة فى الإنشاء الإيقاعى وصيغة المضارع بقوله : « وأكثر ما يستعمل فى الإنشاء الإيقاعى من أمثلة الفعل هو الماضى نحو : بعت واشتريت . والفرق بين بعت الإنشائى وأبيع المقصود به الحال أن قولك : أبيع لابد له من بيع خارج حاصل بغير هذا اللفظ تقصد بهذا اللفظ مطابقته لذلك الخارج فإن حصلت المطابقة فالكلام صدق وإلاّ فهو كذب ، فلهذا قيل : إن الخبر محتمل للصدق والكذب فالصدق محتمل اللفظ من حيث دلالته عليه والكذب محتمله ولا دلالة للفظ عليه . أما بعت الإنشائى فإنه لاخارج له تقصد مطابقته بل البيع يحصل فى الحال بهذا اللفظ . وهذا اللفظ موجد له فلهذ قيل إن الكلام الإنشائى لا يحتمل الصدق والكذب ؛ وذلك لأن معنى الصدق مطابقته للخارج والكذب عدم مطابقته » .

وتسمى الأفعال الماضية الدالة على الإنشاء الإيقاعى « ألفاظ العقود » .

زوَّجناكها بما معك من القرآن » [1] .

فصيغة الماضى فى قوله ﷺ « زَوَّجْناكها تدل على الزمن الحاضر فى سياق إتمام عقد الزواج مع القول فى آن واحد .

ثانياً : إذا وردت صيغة الماضى فى سياق الإعلان عن أمر والإقرار به . من ذلك :

١ - قوله تعالى على لسان من يحمل السيئات ويحضره الموتُ : ﴿ إنِّى تُبْتُ الآنَ ﴾ [2] .

فصيغة الماضى فى قوله (تبت) تدل على الزمن الحاضر فى ضوء سياق هذه الآية وبالقرينة الواردة فى الجملة (ظرف الزمان : الآن) . وفى هذا القول إعلان عن التوبة وإقرار بها .

٢ - قوله تعالى فيما نزل على النبى ﷺ يوم عرفة بعد العصر فى حجة الوداع سنة عشر للهجرة : ﴿ اليَوْمَ يَئِسَ الذين كَفَرُوا من دِينِكُمْ ﴾ [3] .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(١) نص الحديث ورد فى فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى (١٩/ ٢٢٩ - باب النكاح) برواية عبد الله بن يوسف عن مالك عن أبى حازم عن سهل بن سعد .

(٢) سورة النساء ، الآية ١٨ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٣ . وفى تفسير هذه الآية قولان أوردهما الفخر الرازى (فى تفسيره : ١١/ ١٣٩) « (الأول) أنه ليس المراد هو ذلك اليوم بعينه حتى يقال إنهم ما يئسوا قبله بيوم أو يومين ، وإنما هو كلام خارج على عادة أهل اللسان معناه : لا حاجة بكم الآن إلى مداهنة هؤلاء الكفار لأنكم الآن صرتم بحيث لا يطمع أحد من أعدائكم فى توهين أمركم ، ونظيره قوله : كنت بالأمس شاباً واليوم قد صرت شيخا ، ولا يريد بالأمس اليوم الذى قبل يومك ، ولا باليوم يومك الذى أنت فيه و (القول الثانى) أن المراد به يوم نزول هذه الآية ، وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر فى حجة الوداع سنة عشر والنبى ﷺ واقف بعرفات على ناقته العضباء » . وهذا الرأى الثانى هو ما اعتمدت عليه .

فصيغة الماضى فى قوله (يئس) تدل على الزمن الحاضر فى ضوء سياق هذه الآية ، وبالقرينة السياقية فى الجملة (ظرف الزمان : اليوم) .

٣ - قوله تعالى على لسان الحواريين لما أوحى إليهم أن يؤمنوا به وبرسوله عيسى عليه السلام : ﴿ آمَنَّا واشْهَدْ بأنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

فصيغة الماضى فى قوله (آمَنَّا) تدل على الزمن الحاضر فى ضوء سياق هذه الآية وفى قولهم إعلان عن إيمانهم وإقرارهم به .

٤ - قوله تعالى على لسان السحرة بعد سجودهم لله تعالى : (آمَنَّا برَبِّ العالَمِينَ ، رَبِّ موسى وهارون ﴾ (٢) .

فصيغة الماضى فى قولهم (آمنا) تدل على الزمن الحاضر فى ضوء سياق الآية وفى قولهم إعلان عن إيمانهم وإقرارهم به .

٥ - قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام بعدما أفاق من الصعقة : ﴿ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إليك وأنا أوَّلُ المُؤْمنِينَ ﴾ (٣)

---

(١) سورة المائدة ، الآية ١١١ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٢١ ، ١٢٢ وينظر كذلك سورة طه ، الآية ٧٠ . أوضح الفخر الرازى (فى تفسيره : ١٤/ ٢١٥) « أنه تعالى ذكر أولاً أنهم (أى السحرة) صاروا ساجدين ثم ذكر بعده أنهم قالوا (آمنا برب العالمين) فما الفائدة فيه مع أن الإيمان يجب أن يكون متقدماً على السجود ؟ وجوابه من وجوه : (الأول) : أنهم لما ظفروا بالمعرفة سجدوا لله تعالى فى الحال ، وجعلوا ذلك السجود شكراً لله تعالى على الفوز بالمعرفة والإيمان ، وعلامة أيضاعلى انقلابهم من الكفر إلى الإيمان ، وإظهار الخضوع والتذلل لله تعالى ، فكأنهم جعلوا ذلك السجود علامة على هذه الأمور الثلاثة على سبيل الخضوع . (الوجه الثانى) لايبعد أنهم عند الذهاب إلى السجود قالوا (آمنا برب العالمين) وعلى هذا التقدير فالسؤال زائل والوجه الصحيح هو الأول » . وهذا الثانى أكد فى دلالة صيغة الماضى على الحاضر .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٤٣ . فى تفسير هذه الآية ذكر الطبرى (فى جامع البيان فى تفسير القرآن : ٩/ ٣٨) أن الله تعالى يقول : « فلما ثاب إلى موسى عليه السلام فهمه من غشيته وذلك هو =

فصيغة الماضى فى قوله (تُبْتُ) تدل على الزمن الحاضر فى ضوء سياق الآية ، وفى قوله إعلان عن التوبة وإقرار بها .

٦ - قوله تعالى حكاية عن فرعون حين أدركه الغرق : ﴿ آمنْتُ أنَّه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا مِن المُسْلِمينَ ﴾ (١) .

فصيغة الماضى فى قوله (آمنتُ) تدل على الزمن الحاضر فى ضوء سياق الآية ، وفى قوله إعلان عن الإيمان وإقرار به .

٧ - قوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز : ﴿ الآنَ حصحص الحَقُّ أنا راودتُهُ عن نَفْسِهِ وإنَّه لمن الصادقين ﴾ (٢) .

= الإفاقة من الصعقة التى خر لها موسى عليه السلام قال سبحانك تنزيها لك يارب وتبرئة أن يراك أحد فى الدنيا ثم يعيش ، تبت إليك من مسألتى إياك ما سألتك من الرؤية وأنا أول المؤمنين بك من قومى أن لا يراك فى الدنيا أحد إلاَّ هلك » .

(١) سورة يونس ، الآية ٩٠ . أوضح الفخر الرازى (فى تفسيره : ١٧/ ١٦٠) أن الله تعالى ذكر أن فرعون « لما أدركه الغرق أظهر كلمة الإخلاص ظنا منه أنه ينجيه من تلك الآفة وههنا سؤالان ؛ السؤال الأول : أن الإنسان إذا وقع فى الغرق لا يمكنه أن يتلفظ بهذا اللفظ فكيف حكى الله تعالى عنه أنه ذكر ذلك ؟ والجواب من وجهين : الأول : أن مذهبنا أن الكلام الحقيقى هو كلام النفس لا كلام اللسان ، فهو إنما ذكر هذا الكلام بالنفس ، لا بكلام اللسان ، ويمكن أن يستدل بهذه الآية على إثبات كلام النفس ، لأنه تعالى حكى عنه أنه قال هذا الكلام ، وثبت بالدليل أنه ما قاله باللسان ، فوجب الاعتراف بثبوت كلام غير كلام اللسان وهو المطلوب . الثانى : أن يكون المراد من الغرق مقدماته . . . إلخ » .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٥١ . يقول الفخر الرازى (فى تفسيره : ١٨/١٥٦) : « واعلم أن امرأة العزيز كانت حاضرة ، وكانت تعلم أن هذه المناظرات والتفحصات إنما وقعت بسببها ولأجلها فكشفت عن الغطاء وصرحت بالقول الحق وقالت ﴿ الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ﴾ وفيه مسائل : (المسألة الأولى) هذه شهادة جارمة من تلك المرأة بأن يوسف صلوات الله عليه كان مبرأ عن كل الذنوب مطهراً عن جميع العيوب . . . (المسألة الثانية) قال أهل اللغة : (حصحص الحق) معناه وضح وانكشف وتمكن فى القلوب والنفوس . . . إلخ » .

فصيغة الماضى فى قولها (حصحص) تدل على الزمن الحاضر فى ضوء سياق الآية ، وبالقرينة الواردة فى الجملة (ظرف الزمان : الآنَ) . وفى قولها إعلان عن ظهور الحق بعد خفائه وإقرار به .

٨ - قوله تعالى حكاية عن « بلقيس » ملكة سبأ : ﴿ رَبِّ إِنِّى ظلمتُ نَفْسِى وأسلمْتُ مع سُلَيْمانَ لله رَبِّ العالمين ﴾ [١] .

فصيغة الماضى فى قولها (أَسْلَمْتُ) تدل على الزمن الحاضر فى ضوء سياق الآية ، وفى قولها إعلان عن إسلامها وإقرار به .

٩ - قول الفخر الرازى (ت ٦٠٤هـ) : « ورأيت فى بعض الكتب أن امرأة جاءت بزوجها إلى القاضى وادعت عليه المهر ، فأمر القاضى بأن يكشف عن وجهها حتى تتمكن الشهود من إقامة الشهادة ، فقال الزوج : لا حاجة إلى ذلك ، فإنى مقر بصدقها فى دعواها ، فقالت المرأةُ : لما أكرمتنى إلى هذا الحد فاشهدوا أنى أبرأتُ ذمتَك من كل حق لى عليك » [٢] .

فصيغة الماضى فى قول المرأة (أبرأتُ) تدل على الزمن الحاضر فى ضوء سياق الحكاية ، وفى قولها إعلان عن إبراء ذمة زوجها وإقرار به .

ثالثاً : إذا وردت صيغة الماضى فى سياق كتابة الرسائل وإرسالها، مثل قولك : « كتبتُ إليك كذا » فى معنى أكتبُ ، و « بعثتُ إليك بهذا » فى معنى

---

(١) سورة النمل ، الآية ٤٤ . بيَّن الزمخشرى (فى الكشاف : ٤/٢٠٢) معنى قولها (ظلمت نفسى) بأنها « تريد بكفرها فيما تقدم ، وقيل : حسبت أن سليمان عليه السلام يغرقها فى اللجة فقالت : ظلمت نفسى بسوء ظنى بسليمان عليه السلام » .

(٢) تفسير الفخر الرازى : ١٨/١٥٧ .

أبعثُ . من ذلك ما يروى أن الفرزدق حين قيل له [1] إن « امرأة بالباب تسأل عنه ، كاد يطير من الفرح ووثب يعدو إليها ، فلما رأته قالت : إنى عذتُ بقبرِ غالب. قال : وما حاجتك ؟ قالت : ابن لى ليس ولد غيره قد جُمِّر (أى حُبِسَ عن العَوْد إلى أهله) بالسند ، وقد صانعت فيه فأعيانى ذلك ، وأخبرته بما قيل لها فيه ، فقال : يا غلام هات ورقًا ودواة ، وقال : ما اسم ابنك ؟ قالت خُنَيس ، فقال الفرزدق ، وكتب بها إلى عامل الناحية التى ابنها فيها :

كَتَبْتُ وعَجَّلْتُ البِرادةَ ، إننى ∴ إذا حاجةٌ طَالَبْتُ عَجَّتْ رِكابُها

ولى ببلاد الهِنْدِ ، عِنْدَ أميرِها ∴ حَوَائجُ جَمَّاتٌ وعندى ثَوَابُهَا

فصيغة الماضى فى قوله (كتبتُ) تدل على الزمن الحاضر فى ضوء سياق أحداث كتابة الرسالة ، فقد قال هذا الكلام بعد أن تناول ورقا ودواة وهمَّ بالكتابة ، وتدل صيغة الماضى فى الجملة المعطوفة (عجلت البرادة) على الزمن الحاضر أيضا .

رابعاً : إذا وردت صيغة الماضى فى سياق القَسم ، مثل قولك : « أقسمت » فى معنى أُقسِمُ ، و « حلفت » فى معنى أَحْلِفُ . من ذلك قول الفرزدق يهجو جريرًا [2] :

---

(١) شرح ديوان الفرزدق (إيليا الحاوى - دار الكتاب اللبنانى - بيروت ١٩٨٣) ج١ / ص١٤٤ . البيتان من بحر الطويل . والبرادة : الرسالة ، وعجّت ركابها : تعجلت المطايا التى تحملها . يقول : إنه يتعجل فى تنفيذ ما يبتغيه لتحقيق حاجته وإن له عنده حاجات كثيرة وإنه سيكافئه عليها (ينظر فى ذلك شرح الديوان نفسه : ١/ هامش ١٤٤) .

(٢) شرح الديوان نفسه : ١/ ١٨١ . البيتان من بحر الوافر . والمصلى : المسجد ، والهدىّ : الإبل التى تهدى إلى مكة ، والمقلدات : المنعلات ؛ لأن البدن تقلَّد بالنعل أو تشعر فى سنامها حتى يسيل منها الدم ليُعْلم أنها هدية ، والجلف: الرجل الغليظ وهنا جرير . يقسم الفرزدق برب مكة والإبل =

حلفتُ برَبِّ مكَّةَ والمُصلَّى ∴ وأعْنَاقِ الهَدِيّ مُقَلَّدات

لَقَدْ قلَّدْتُ جِلْفَ بنى كُلَيْبٍ ∴ قلائدَ فى السَّوالفِ باقياتِ

فصيغة الماضى فى قوله (حلفتُ) تدل على الزمن الحاضر فى ضوء سياق القسم .

* * *

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

= التى تساق إليها وتقلد وتعلم حين تهدى بأنه نظم فى جرير قصائد دمغته دمغاً على صفحتى وجهه (ينظر شرح الديوان نفسه : ج١ / هامش ١٨١) .

القسم الرابع
دلالة صيغة الماضى على الزمن المستقبل

تدل صيغة الماضى على المستقبل إذا وردت فى المواقع والسياقات التالية :

الأول : إذا وردت بعد همزة التسوية .

الثانى : إذا وردت صفة لنكرة عامة .

الثالث : إذا وردت بعد (ما) المصدرية الظرفية .

الرابع : إذا وردت بعد حرف من حروف التحضيض .

الخامس : إذا وردت فى سياق الوَعْد .

السادس : إذا وردت فى سياق القسم .

السابع : إذا وردت فى سياق الرجاء .

الثامن : إذا وردت فى سياق الأمر .

التاسع : إذا وردت فى سياق التمنى .

العاشر : إذا وردت فى سياق الدعاء .

الحادى عشر : إذا وردت فى سياق الشرط .

الثانى عشر : إذا وردت فى سياق « حكاية الحال الآتية » .

وتوضيح هذه المواقع والسياقات بالتفصيل كما يلى :

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الأول : إذا وردت صيغة الماضى بعد همزة التسوية . دلت على المستقبل :

نحو قولك : « سَوَاءٌ علىَّ أقُمْتَ أمْ قَعَدْتَ » .

فصيغة الماضى فى قولك : (أقمت أم قعدت) تدل على المستقبل بعد همزة التسوية إذا قصدت سواء علىَّ ما يكون منك من قيام وقعود .

أما إذا قصدت : سواء علىَّ ما كان منك من قيام وقعود فإن صيغة الماضى فى هذه الحالة تدل على الزمن الماضى [1] .

ومن دلالة صيغة الماضى على المستقبل بعد همزة التسوية قوله تعالى حكاية عن الذين استكبروا فى الأرض وهم يحاسَبون يوم القيامة : ﴿ سواءٌ علينا أجَزِعْنَا أمْ صَبَرْنا ما لنا من مَحِيصٍ ﴾ [2] .

فصيغة الماضى فى قوله (أجزعنا أم صبرنا) تدل على المستقبل بعد همزة التسوية .

وتوهم وليم رايت أن صيغة الماضى بعد همزة التسوية تدل على معنى الاستقبال فقط ، وأن العطف بعد همزة التسوية يكون بـ (أو) . يقول رايت : « تُطَبَّقُ الملحوظة نفسها (أى ملحوظة أن صيغة الماضى تدل على معنى الاستقبال بعد (إنْ) الشرطية وبعد عدد من الكلمات تتضمن المعنى الشرطى لإن) ، تطبَّقُ على صيغة الماضى التى تقع قبل (أو) وبعدها فى عبارات مثل : « سواء غابوا أو حضروا » ، « سواء علىَّ قمت أو قعدت » [3] » .

---

(١) أوضح السيوطى (فى همع الهوامع ١/ ٢٤) أنَّ الفعل بعد (أم) إنْ كان « مقرونا بـ (لم) تعيَّن المضىّ نحو (سواء عليهم أأنذرتَهُمْ أم لم تُنذِرْهُمْ ﴾ (البقرة ٦) ؛ لأن الثانى ماضٍ معنى ، فوجب مُضىّ الأول ؛ لأنه معادل له » .

معنى هذا الكلام أنه إن لم ترد « لم » بعد « أم » فاحتمال المضى والاستقبال قائم حسب السياق .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية ٢١ .

(٣) WRIGHT, W.: A grammar of the Arabic Language, p. 14, 15.

ولعل الصواب ما أشير إليه من أن صيغة الماضى تحتمل الاستقبال والمضى بعد همزة التسوية والذى يحدد ذلك هو سياق الكلام ، وأن حرف العطف الذى يستعمل بعد هذه الهمزة هو « أم » [1] وليس « أو » .

الثانى : إذا وردت صفة لنكرة عامة : [2]

نحو : « كلُّ رجلٍ أتانى فله دِرْهَمٌ » [3] .

فصيغة الماضى فى قوله (أتانى) تدل على المستقبل وتقع فى جملة صفة لنكرة عامة ، وهى « رجل » . ومن ذلك قوله تعالى لرسول الله ﷺ فى المخلَّفين : ﴿ ولا تُصَلِّ على أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أبدًا ﴾ [4] .

فصيغة الماضى فى قوله (مات) تدل على المستقبل وتقع فى جملة صفة لنكرة ، وهى (أحد) .

---

(١) يقول ابن هشام الأنصارى (فى مغنى اللبيب ١/ ٤٣): « إذا عطفت بعد الهمزة بأو ، فإن كانت همزة التسوية لم يجز قياسًا وقد أولع الفقهاءُ وغيرُهم بأن يقولوا « سواء كان كذا أو كذا ». . . والصواب العطف . . . بأمْ » .

(٢) وتدل صيغة الماضى فى هذا الموقع على الزمن الماضى أيضًا والذى يحدد ذلك هو السياق . ومن دلالتها على الماضى قول الأعشى الكبير ميمون بن قيس (فى ديوانه : القصيدة الأولى - البيت ٧١) :

رُبَّ رِفْدٍ هَرَقْتَهُ ذلك اليَوْ مَ ، وأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أقتالِ

فصيغة الماضى فى قوله (هرقته) تدل على الماضى وتقع فى جملة صفة لنكرة عامة هى (رفد) . والبيت من بحر الخفيف ، وهو من قصيدة فى مدح الأسود بن المنذر اللخمى . والرِّفْد : القدح الضخم ، ويكنى بإراقة الرفد عن الموت . وأقتال : جمع قِتْل ، وهو العدو . المعنى : كم كأس سفحته ذلك اليوم ، وكم أسير من معشر أعداء .

(٣) يعلل الرضى (فى شرح الكافية ٢/ ٢٢٥) دلالة صيغة الماضى على المستقبل فى هذا المثال بأن فيها « رائحة الشرط » .

(٤) سورة التوبة ، الآية ٨٤ . وفى بيان الدلالة الزمنية لصيغة الماضى فى هذه الآية ، يقول الزمخشرى (فى الكشاف ٢/ ٢٠٧) : « (مات) صفة لأحد ، وإنما قيل : مات وماتوا بلفظ الماضى والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لأنه كائن موجود لا محالة » .

الثالث : إذا وردت بعد (ما) المصدرية الظرفية [1] :

نحو قوله تعالى على لسان عيسى بن مريم ، عليه السلام :

﴿ وأوْصَانى بالصلاةِ والزَّكاةِ ما دُمْتُ حيًّا ﴾ [2] .

فصيغة الماضى فى قوله (مادمت) تدل على المستقبل بعد ما المصدرية الظرفية ، ومعنى العبارة : مدةَ دوامى حيا . ومن ذلك ما روى عن امرئ القيس أنه رأى عند موته قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك فدفنت فى سفح جبل يقال له عسيب ، فسأل عنها فأُخْبِر بقصتها ، فقال [3] :

أجَارتَنَا إنَّ المزارَ قريبُ ∴ وإنِّى مُقيمٌ ما أقامَ عَسِيبُ

فصيغة الماضى فى قوله (ما أقام) تدل على المستقبل بعد ما المصدرية الظرفية . ومعنى العبارة : مدة إقامة عسيب .

وقد تدل صيغة الماضى بعد ما المصدرية الظرفية على الزمن الماضى . من ذلك قوله تعالى على لسان عيسى بن مريم ، عليه السلام : ﴿ وكنتُ عَلَيْهِمْ شهيدًا ما دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ [4] .

فصيغة الماضى فى قوله (مادمتُ) تدل على الماضى بعد ما المصدرية الظرفية ، دل على ذلك سياق الآية .

---

(١) أطلق ابن هشام الأنصارى (فى مغنى اللبيب ١/ ٣٠٥) على ما المصدرية الظرفية اسم (ما) المصدرية الزمانية .

(٢) سورة مريم ، الآية ٣١ .

(٣) ديوان امرئ القيس : ص٣٥٦ ، البيت الأول من قصيدة (أجارتنا) . والبيت من بحر الطويل .

(٤) سورة المائدة ، الآية ١١٧ .

الرابع : إذا وردت بعد حرف من حروف التحضيض [1] دلت على المستقبل فى سياقى العرض والأمر :

فمن دلالة صيغة الماضى على المستقبل بعد حرف التحضيض فى سياق العرض قوله تعالى حكاية عن الكافر يوم القيامة : ﴿ لولا أخَّرتَنِي إلى أجَلٍ قريبٍ فأصَّدَّقَ وأكُنْ من الصَّالحين ﴾ [2] .

فصيغة الماضى فى قوله (أخرتنى) تدل على المستقبل بعد الحرف (لولا) فى سياق العرض .

ومن دلالتها على المستقبل بعد حرف التحضيض فى سياق الأمر قوله تعالى : ﴿ فلولا نَفَرَ مِن كلِّ فرقةٍ منهم طائفة ﴾ [3] .

فصيغة الماضى فى قوله (نفر) تدل على المستقبل بعد حرف التحضيض (لولا) فى سياق الأمر ، والمعنى : « لِينفُرْ من كل فرقة طائفة » [4] .

الخامس : إذا وردت فى سياق الوعد :

نحو قوله تعالى : ﴿ إنَّا أعْطَيْنَاكَ الكَوْثَر ﴾ [5] .

---

(١) حروف التحضيض هى : ألاَّ ، ولولا ، ولو ما ، وهَلاَّ . وأطلق النحاة على هذه الحروف حروف التحضيض على التوسع ؛ إذ إنها ترد لمعنى التحضيض وغيره كالعرض والأمر والتوبيخ .

(٢) سورة المنافقين ، الآية ١٠ . ويعلل ابن يعيش (فى شرح المفصل ٨/ ١٤٤) سبب دلالة صيغة الماضى على المستقبل بعد (لولا) فى هذه الآية بأن (لولا) يشبه حرف الشرط ؛ « لأنه فى معناه ، والتقدير : إنْ أخرتنى أصدق ؛ ولذلك جزم (وأكنْ) بالعطف على موضع (فأصدق) » .

(٣) سورة التوبة ، الآية ١٢٢ .

(٤) ابن مالك : شرح التسهيل : ١/ ٣١ ، والسيوطى : همع الهوامع : ١/ ٢٥ .

(٥) سورة الكوثر ، الآية ١ . ذكرا بن مالك (فى شرح التسهيل ١/ ٣٠) أن الماضى ينصرف « إلى الاستقبال بالوعد كقوله تعالى ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ » .

فصيغة الماضى فى قوله (أعطيناك) تدل على المستقبل فى سياق الوعد الذى وعده الله بإعطائه رسوله ﷺ الكوثر يوم القيامة .

السادس : إذا وردت فى سياق القسم ، وذلك إن وقعت فى جملة جواب القسم :[1]

نحو قول الواقدى (ت ٢٠٧هـ) فى أمر قريش حين كانت تستعد للخروج إلى بدر : « فمشت قريش إلى أبى لهب فقالوا : إنك سيد من سادات قريش ، وإنك إن تخلَّفتَ عن النفير يعتبر بك غيرُك من قومك ، فاخرجْ أو ابعث أحدًا . فقال : واللات والعُزَّى لا أخرج ولا أبعث أحدًا ! فجاءه أبو جهل فقال : قم أبا عتبة ، فوالله ما خرجنا إلاَّ غضبًا لدينك ودين آبائك ! »[2] .

فصيغة الماضى فى قوله (ما خرجنا إلاَّ غضبًا) تدل على المستقبل فى جملة جواب القسم ، إذ إن قريشًا فى ذلك الوقت كانت تستعد للخروج ولم تكن قد خرجت بعد. يلاحظ أن صيغة الماضى فى هذا المثال دلت على المستقبل ووقعت فى جملة جواب قسم جاءت على صورة الاستثناء المفرغ بما النافية وإلاَّ .

وتضاف هذه الصورة إلى ما قاله ابن مالك[3] من أن صيغة الماضى تنصرف إلى الاستقبال بعد القسم فى جملة منفية بلا أو بإن .

---

(١) يرى ابن مالك (فى شرح التسهيل ١/ ٣٠) أن انصراف الماضى إلى الاستقبال « بعدالقسم بالنفى بلا كقول الشاعر :

ردُّوا فوالله لاَذُدْناكم أبدًا ∴ مادام فى ماثنا وردٌ لنُزَّال

وانصرافه بالنفى بإن كقوله تعالى (فى سورة فاطر ٤١) : ﴿ إنَّ اللهَ يُمْسِكُ السمواتِ والأرضَ أنْ تَزُولاَ ولَئِن زَالَتا إنْ أمْسكهُمَا مِن أحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ أى والله لئن زالتا ما يمسكهما » .

(٢) المغازى : ١/ ٣٣ .

(٣) ينظر : شرح التسهيل ١/ ٣٠ .

السابع : إذا وردت فى سياق الرجاء :

نحو قولـه تعالى : ﴿ وآخرونَ اعترَفُوا بذنـوبهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالحًا وآخَرَ سيّئا عسى اللهُ أن يتوبَ عليهم ﴾ (١)

فصـيغة الماضـى فى قوله « عـسى » (٢) تدل على المسـتقبل بالنسبـة لنقطة الحدث المتمثل فى قوله (اعترفوا بذنوبهم) .

الثامن : إذا وردت فى سياق الأمر :

نحـو قوله تـعالى : ﴿ وقُلْ لـلذينَ أوتـوا الكتـابَ والأُمِّيِّينَ أأسْلَمْتُمْ فإنْ أسْلَمُوا فقدِ اهْتَدَوا وإنْ تَوَلَّوْا فإنما عَلَيْكَ البلاغُ ﴾ (٣) .

فصيغـة الماضى فى قوله « أأسـلمتم » (٤) تـدل علـى المستقبل فـى سياق الأمر .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١٠٢ .

(٢) أوضح ابن هشام الأنصارى (فى مغنى اللبيب ١/ ١٥١ ، ١٥٢) أن « (عسى) تستعمل على أوجه : أحدها أن يقال : عـسى زيدٌ أن يقوم . . . الاستعمال الثـانى : أن تسند إلى أن والفعل فـتكون فعلاً تاماً ، هذا هـو المفهوم من كلامهـم . وقال ابن مالك : عندى أنـها ناقصة أبدًا . . . الثـالث والرابع والخامس : أن يأتـى بعدها المضارع المجرد ، أو المقـرون بالسين أو الاسم المفرد ، نحـو : عـسى زيدٌ يقوم ، وعسى زيدٌ سيقوم ، وعسى زيد قـائما ، والأول قليل . . . والثالث أقل . . . والسادس : أن يقال : عَسَايَ ، وعَسَاك ، وعَسَاه ، وهو قليل » .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ٢٠ .

(٤) يقول ابن هـشام الأنصارى (فى مغـنى اللبيب ١/ ١٧ ، ١٨) : « قد تـخرج الهمزةُ عن الاسـتفهام الحقيقى ، فترد لثمانية معانٍ : . . . السادس : الأمر ، نحو : (أأسْلَمْتُمْ) اى : أسْلِمُوا » .

التاسع : إذا وردت فى سياق التمنى بعد (لو) :

نحو : « لو أعطَانى وَوَهَبَنِي »[1] .

فصيغة الماضى فى قوله (أعطانى) تدل على المستقبل فى سياق التمنى بعد (لو) الدالة عليه .

العاشر : إذا وردت فى سياق الدعاء :[2]

ويكون الدعاء بالخير أو بالشر . وبيان هذين النوعين كما يلى :

١ - الدعاء بالخير : ويكون عن طريق الإثبات ، نحو : أطال الله بقاءَك وبُورِكتَ . ومن ذلك ما كتبه جعفر بن محمد بن ثَوَابه عن الخليفة العباسى المعتضد (محمد بن الموفّق) إلى ابن طُولون « فى ذكر ابنته قَطْر النّدى المنقولة إليه ، وهو : وأما الوديعة - أعَزَّكَ اللهُ ! - فهى بمنزلة ما انتقل من شمالك إلى يمينك ، عنايةً بها ، وحياطة لها ، ورعايةً لموالاتك فيها »[3] .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

(١) يرى ابن يعيش (فى شرح المفصل ٩/ ١١) أن « (لو) قد تستعمل بمعنى أنْ للاستقبال ، فحصل فيها معنى التمنى ، لأنه طلب ، فلا تفتقر إلى جواب ، وذلك نحو : « لو أعطانى ووهبنى » . والتمنى نوع من الطلب » .

(٢) يرى عباس محمود العقاد (فى مقالته : الزمن فى اللغة - مجلة مجمع اللغة العربية : ١٤/ ٤١) أن « المعنى غالب على اللفظ فى الدعاء . . . يقول القائل (صحبتك السلامة) و (حفظك الله) و (رعاك الله) . . . ومن آية القصد فى اللغة ألا يحتاج الفعل هنا إلى النقل من صيغة الماضى إلى الحاضر ؛ لأن المعنى بالبداهة معلق بالاستقبال . وفى بقائه على صيغة الماضى ما يشعر بقوة الأمل فى الاستجابة » .

وعلى عكس ذلك ذكر آرتون AARTUN Zur Frage altarabischer Tempora, S. 74 أن «صيغة قَتَلَ تستعمل كثيراً فى الدعاء والتوكيدات القسمية بلا خاصية زمنية ohne temporalen Bezug مثل: أيَّدَكَ اللهُ».

(٣) الثعالبى : يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر : ١/ ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

فصيغة الماضى فى قوله « أَعَزَّكَ اللهُ » [1] تدل على المستقبل فى سياق الدعاء بالخير عن طريق الإثبات . وقد يكون الدعاء بالخير عن طريق النفى بلا ، نحو : لا فَضَّ اللهُ فاكَ ، ولا شُلَّتْ يَدَاك .

٢ - الدعاء بالشر : ويكون عن طريق الإثبات نحو : لَعَنَ اللهُ فلانا . وقد يكون عن طريق النفى بلا ، نحو : لا رحمه الله . ومن ذلك قول أبى فراس الحمدانى لغلامين له : [2]

لا رَعَى اللهُ ، يا خَلِيلىَّ ، دَهْرًا ∴ فَرَّقَتْنَا صُرُوفُهُ تَفْرِيقا

فصيغة الماضى المنفية بلا فى قوله « لا رعى الله دَهْرا » تدل على المستقبل فى سياق الدعاء بالشر .

لاحظ ڤولفديترش فيشر [3] وهوبكنز [4] « أن صيغة المضارع استعملت استعمال صيغة الماضى التى تقوم بوظيفة الدعاء بمرور الزمن ، وذلك فى اللغة التى انحدر مستواها شيئا ما عن مستوى العربية الفصحى التى ضبطت قواعدها من قِبَل النحاة [5] . إلاَّ أن صيغة الماضى على الرغم من ذلك ظلت شائعة جدًا . مثل ذلك قول العرب : « يَرْحَمُكَ الله » .

---

(١) أوضح ابن جنى (فى الخصائص : ٣/ ٣٣٠) أنك « تقول : أعزَّك الله ، وأطال بقاءك ، فتأتى بلفظ الماضى ومعناه الاستقبال » .

(٢) الثعالبى : يتيمة الدهر : ١/ ١٠٠ . والبيت من بحر الخفيف .

(٣) FISCHER, WOLFDIETRICH : Grammatik des klassischen Arabisch, § 182, S. 92.

(٤) HOPKINS, SIMON : Studies in the grammar of early arabic, § 137, p. 133.

(٥) In nachklassischen Sprache.

الحادى عشر : إذا وردت فى سياق الشرط [1] .وذلك إذا وقعت فى جملة الشرط بعد اداة من ادوات الشرط :

نحو : إنْ قُمْتَ قُمْتُ » [2] .

فصيغة الماضى الواقعة فى جملة الشرط (قمتَ) تدل على المستقبل فى سياق الشرط بعد « إنْ » [3] .

من ذلك قوله تعالى : ﴿ وإنْ كُنْتُمْ على سَفَرٍ ولم تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ ، فإنْ أَمِنَ بعضُكُم بعضًا فَلْيُؤَدِّ الذى اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾ [4] .

فصيغة الماضى فى قوله (كنتم) و (أمن) تدل على المستقبل فى سياق الشرط ، ووقع الفعلان فى جملة الشرط بعد (إنْ) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إذا قُمْتُمْ إلَى الصَّلاةِ فاغْسِلوا وُجوهَكُمْ وأَيْدِيَكُمْ إلى المَرَافِقِ ﴾ [5] .

فصيغة الماضى فى قوله (قمتم) تدل على المستقبل فى سياق الشرط ، ووقع الفعل فى جملة الشرط بعد (إذا) .

---

(١) أوضح ابن يعيش (فى شرح المفصل ٨/ ١٥٥) أن « الشرط إنما يكون بالمستقبل ؛ لأن معنى تعليق الشىء على شرط إنما هو وقوف دخوله فى الوجود على دخول غيره فى الوجود ولا يكون هذا المعنى فيما مضى » .

(٢) ذكر ابن جنى (فى الخصائص ٣/ ٣٣١) أن « حديث الشرط فى نحو إنْ قمتَ قمتُ ، جئتَ فيه بلفظ الماضى الواجب ؛ تحقيقا للأمر ، وتثبيتًا له ، أى إن هذا وعد مَوْفِىٌّ به لا محالة ؛ كما أن الماضى واجب ثابت لا محالة » .

(٣) قال ابن يعيش (فى شرح المفصل ٨/ ١٥٦) إنَّ « (إنْ) أمُّ هذا الباب . . . وحق إنْ الجزائية أن يليها المستقبل من الأفعال لأنك تشترط فيما يأتى أن يقع شىء لوقوع غيره . فإن وليها فعل ماض أحالت معناه إلى الاستقبال .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٨٣ .

(٥) سورة المائدة ، الآية ٦ .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وأُدْخِلَ الجنةَ فقد فَازَ ﴾ [1] .

فصيغة الماضى فى قوله(زحزح) تدل على المستقبل فى سياق الشرط ووقع الفعل فى جملة الشرط بعد (مَنْ) .

ومن ذلك قول سحيم عبد بنى الحساس (ت ٤٠هـ) يشبب بفتاتين من قبيلته [2] :

فلو كُنْتُ مُخْتاراً لنَفْسِي وصاحبي ∴ من الناسِ بَيْضَاوَيْنِ قلتُ : هُما هُما

فصيغة الماضى فى قوله (كنت) تدل على المستقبل فى سياق الشرط ووقع الفعل فى جملة الشرط بعد (لو) .

وكذا الحال فى الأمثلة التى تقع فيها صيغة الماضى فى جملة الشرط بعد أداة من أدوات الشرط الأخرى مثل : ما ، أى ، أين ، متى ، أيان ، كيف ، أنى ، حيثما .

وترد صيغة الماضى فى سياق الشرط وهى واقعة فى جملة الشرط بعد الأداة ، فتدل على الزمن الماضى أيضا [3] .

فمن دلالتها عليه قوله تعالى حكاية عن عيسى ، عليه السلام : ﴿ إن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾ [4] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٨٥ .

(٢) ديوان سحيم عبد بنى الحسحاس : ص٦٢ ، قصيدة (وك) ، البيت ١٥ . والبيت من بحر الطويل .

(٣) أوضح رايت WRIGHT فى كتابه : (Agrammar of the Arabic Language, p. 16) أنه « إذا كان لصيغة الماضى بعد أدوات الشرط معنى تاريخى (يقابل الزمن الماضى فى الانجليزية) وجب أن تتصدر (كان) أو إحدى أخواتها العبارتين المترابطتين ، نحو : « كانوا إن بالغوا بَلَغُوا » » . .

(٤) سورة المائدة ، الآية ١١٦ . يقول ابن يعيش (فى شرح المفصل ٨/١٥٦) : « فإنْ قيل : فإنهم يقولون : إن كنت زرتنى أمس أكرمتك اليوم . وقد وقع بعد إن الفعل ومعناه المضى ومنه قوله تعالى : ﴿ إن كنت قلته فقد علمته ﴾ قيل : قد أجاب عن ذلك المبرد وقال : إنما ساغ ذلك فى :(كان) ؛ لقوة دلالتها على المضى » .

فصيغة الماضى فى قوله (كنتُ) تدل على الماضى فى سياق الشرط .

ومن ذلك قول الوزير أبى عامر بن عبد الملك بن شُهَيْد [1] يصف ثَعْلبًا : « إذا رأى الفرصةَ انتهزها ، وإن طَلَبَتْهُ الكماةُ أعجزها » [2] .

فصيغة الماضى فى قوله (رأى) و (طلبته) تدل على الزمن الماضى فى سياق الشرط ، ووقع الفعلان فى جملة الشرط بعد (إذا) و (إنْ) .

الثانى عشر : إذا وردت فى سياق « حكاية الحال الآتية » : [3]

وتأتى هذه الحكاية على ثلاثة أوجه ؛ الأول : إخبار الله تعالى فى القرآن الكريم عما سيأتى فى الدنيا ، والثانى : إخباره ، عزَّ وجلَّ، عما سيأتى يوم القيامة ، والثالث : إخبار الناس فى غير القرآن عما يُتَوقَّع إتيانهُ فى الدنيا ويوم القيامة .

وبيان هذه الأوجه الثلاثة كما يلى :

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

---

(١) الوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد (٩٩٢م - ١٠٣٥م) هو من بنى الوضّاح من أشجع من قيس عيلان . وزير من كبار الأندلسيين أدبا وعلما . مولده ووفاته بقرطبة له شعر جيِّد ، يهزل فيه ويجدّ وبعض التصانيف ، منها « كشف الدك وإيضاح الشك » و « حانوت عطّار » « التوابع والزوابع » وكانت بينه وبين ابن حزم الظاهرى مكاتبات ومداعبات . (ينظر : وفيات الأعيان ١ : ٣٥ ، نفح الطيب ١/ ٢٩٥ ، والذخيرة : المجلد الأول من القسم الأول ١٦١) .

(٢) الثعالبى : يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر : ٩/ ٧٨٢ .

(٣) ورد مصطلح « حكاية الحال الآتية » فى كتاب إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج (القسم الثالث : ٨٨٨) . وذكر ابن هشام الأنصارى فى (مغنى اللبيب : ١/ ٨٠) أن جمهور النحاة سموه « باب ﴿ ونفخ فى الصور ﴾ » ، كما ذكر معناه ، وهو « تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة ما قد وقع » .

الأول: إخبار الله ، عز وجل ، عما سيأتى فى الدنيا :

من ذلك قوله تعالى : ﴿ وكم مِن قريةٍ أهْلكْنَاهَا فَجَاءَهَا بأسُنَا ﴾ (١) .

فصيغة الماضى فى قوله (أهلكناها) تدل على المستقبل القريب بالنسبة لنقطة الحدث المعينة فى قوله (جاءها) وذلك فى سياق «حكاية الحال الآتية» .

وقوله تعالى : ﴿ إنَّا فَتَحنَا لَك فَتْحًا مبينًا ﴾ (٢) .

فصيغة الماضى فى قوله (فتحنا) تدل على المستقبل بالنسبة لوقت نزول الآية على رسول الله ﷺ وذلك فى سياق « حكاية الحال الآتية » .

الثانى: إخبار الله ، عز وجل ، عما سيأتى يوم القيامة :

وهو كثير الورود فى القرآن الكريم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ونادَى أصْحَابُ الجَنَّة أصْحَابَ النار أنْ قَدْ وَجَدْنَا ما وَعَدَنَا ربُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُم ما وَعَدَ ربُّكُمْ حَقًّا قالوا نَعَم فَأذَّنَ مُؤذِّنٌ بَيْنَهُمْ أنْ لَعْنَةُ اللهِ على الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ٤ . وفى كتاب إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج (القسم الأول : ٩٧) تفسير لهذه الآية ، وهو : « فإن قلت : فما وجه دخول الفاء فى قوله (فجاءَهَا بأسُنا) والبأس لا يأتى المهلكين ، إنما يجيئهم البأس قبل الإهلاك . ومن مجئ البأس يكون الإهلاك ، فإنه يكون المعنى فى قوله (أهلكناها) قربت من الهلاك ولم تهلك بعد ، ولكن لقربها من الهلاك ودنوها وقع عليها لفظ الماضى » .

(٢) سورة الفتح ، الآية ١ . وفى تفسير هذه الآية يقول الزمخشرى (فى الكشاف : ٢/٦) : « هو فتح مكة ، وقد نزلت مرجع رسول الله ﷺ عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح ، وجئ به على لفظ الماضى على عادة رب العزة سبحانه فى أخباره ؛ لأنها فى تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفى ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المُخْبر ما لا يخفى » .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ٤٤ . وفى تفسير هذه الآية يقول الزمخشرى (فى الكشاف : ٢/١٠٨) : « وإنما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة بأصحاب النار وزيادة فى غمهم ولتكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم (لعنة الله على الظالمين) ، وهو ملك يأمره الله فينادى بينهم نداء يسمع أهل الجنة وأهل النار » .

فصيغة الماضى فى قوله : (نادَى ، وقالوا ، وأذَّن) تدل على المستقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » عما سيجرى يوم القيامة من تقاول بين أهل الجنة وأهل النار .

وقوله تعالى : ﴿ وما أَمْرُ فِرْعونَ برشيد ، يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القيامةِ فأوْرَدَهُمُ النارَ ﴾ (١) .

فصيغة الماضى فى قوله (فأوردهم) تدل على المستقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » عما سيحدث يوم القيامة لفرعون وقومه من عذاب . ويلاحظ هنا عطف الفعل الماضى « أورد » على المضارع « يقدم » (٢) واتفاقهما فى الدلالة على زمن واحد.

وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللهِ فلاتَسْتَعْجِلُوه ﴾ (٣) .

---

(١) سورة هود ، الآية ٩٨ . يقول الزمخشرى (فى الكشاف ٣/ ٥٤) : « هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ، ولم جئ بلفظ الماضى [قلت] : لأن الماضى يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنهم قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة » .

(٢) عطف الماضى على المضارع هو نوع من الالتفات عند علماء البلاغة ، يقول العلوى (فى الطراز : ٢/ ١٣٢) إن معنى الالتفات « فى مصطلح علماء البلاغة ، هو العدول من أسلوب فى الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول وهذا أحسن من قولنا : هو العدول من غيبة إلى خطاب ، ومن خطاب إلى غيبة ؛ لأن الأول يعمُّ سائر الالتفاتات كلها ، والحد الثانى إنما هو مقصور على الغيبة والخطاب لا غير . ولا شك أن الالتفات قد يكون من الماضى إلى المضارع وقد يكون على عكس ذلك » .

(٣) سورة النحل ، الآية ١ . فى تفسير هذه الآية يقول الزمخشرى (فى الكشاف : ٣/ ١٤١) : « ﴿ أتى أمر الله ﴾ الذى هو بمنزلة الآتى الواقع وإن كان منتظراً لقرب وقوعه (فلا تستعجلوه) روى أنه لما نزلت ﴿ اقتربت الساعة ﴾ قال الكفار فيما بينهم إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئاً فنزلت ﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾ فاشفقوا وانتظروا قربها ، فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت ﴿ أتى أمر الله ﴾ فوثب رسول الله ﷺ ورفع الناس رؤوسهم فنزلت ﴿ فلا تستعجلوه ﴾ فاطمأنوا » .

فصيغة الماضى فى قوله (أتى) تدل على المستَقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » عن قرب وقوع يوم القيامة .

والجدول التالى يوضح الأفعال الماضية التى وردت فى سياق « حكاية الحال الآتية » عما أخبر به الله عز وجل عن أحداث يوم القيامة وأوصافها وقرب مجيئها كما يوضح مواضع ورود هذه الأفعال فى القرآن الكريم وعدد مرات ورودها ونسبتها المئوية :

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

جدول رقم (١)

إحصاء الأفعال الماضية الدالة على المستقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » عن يوم القيامة فى القرآن

م	الفعل الماضى	مواضع وروده فى القرآن الكريم	عدد مرات وروده	نسبته المئوية بالتقريب
١	قال أو قيل	البقرة ١٦٧ ، المائدة ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ١١٩ ، الأنعام ٢٧ ، ٣٠ (٣ مرات) ، ١٢٨ (مرتان) ، ١٣٠ ، الأعراف ٣٨ (٣ مرات) ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٥٠ ، يونس ٢٨ ، إبراهيم ٢١ (مرتان) ، النحل ٢٧ ، طه ١٢٥ ، ١٢٦ ، المؤمنون ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، الفرقان ١٨ ، الشعراء ٩٢ ، ٩٦ ، النمل ٨٤ ، القصص ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٥ ، الروم ٥٦ ، السجدة ٢٠ ، الأحزاب ٦٧ ، سبأ ٢٣ (مرتان) ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤١ ، فاطر ٣٤ ، يس ٥٢ ، الصافات ٢٨ ، ٢٩ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ص ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، الزمر ٢٤ ، ٧١ (مرتان) ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، غافر ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ (٣ مرات) ، ٧٣ ، ٧٤ ، فصلت ٢١ (مرتان) ، ٢٩ ، ٤٧ ، الشورى ٤٥ ، الجاثية ٣٤ ، الأحقاف ٣٤ (مرتان) ، ق ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ، الطور ٢٦ ، الحديد ١٣ ، ١٤ ، التحريم ١٠ ، الملك ٩ ، ١٠ ، المدثر ٤٣ ، النبأ ٣٨ ، الزلزلة ٣ .	٨٩	٪ ٢٩,٥٧
٢	كان	الكهف ١٠٧ ، الفرقان ٢٦ ، الروم ١٣ ، السجدة ٥ ، الحشر ١٧ ، المعارج ٤ ، الجن ١٥ ، المزمل ١٤ ، الإنسان ٥ ، ٧ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢٢ (مرتان) ، النبأ ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١	١٨	٪ ٥,٩٨

م	الفعل الماضى	مواضع وروده فى القرآن الكريم	عدد مرات وروده	نسبته المئوية بالتقريب
٣	جاء أو جىء	النحل ٨٩ ، النمل ٨٤ ، الزمر ٦٩ ، ٧١ ، ٧٣ ، فصلت ٢٠ ، ق ٢١ ، النازعات ٣٤	٨	٢,٦٦٪
٤	رأى	البقرة ١٦٦ ، الكهف ٥٣ ، القصص ٦٤ ، الصافات ٥٥ ، الإنسان ١٩ ، ٢٠ (مرتان)	٧	٢,٣٣٪
٥	نُفِخ	الكهف ٩٩ ، يس ٥١ ، الزمر ٦٨ (مرتان) ، ق ٢٠ ، الحاقة ١٣	٦	١,٩٩٪
٦	أذِن	طه ١٠٩ ، سبأ ٢٣ ، النبأ ٣٨ ، الانشقاق ٢، ٥	٥	١,٦٦٪
٧	أعَدَّ أو أُعِدَّ	الأحزاب ٥٧ ، ٦٤ ، الفتح ٦ ، الحديد ٢١ ، المجادلة ١٥	٥	١,٦٦٪
٨	نادى أو نُودِى	الأعراف ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠	٥	١,٦٦٪
٩	أتى	النحل ١ ، الشعراء ٨٩ ، النمل ٨٧ ، الطور ١٨	٤	١,٣٣٪
١٠	بَدَا	الأنعام ٢٨ ، الزمر ٤٧ ، ٤٨ ، الجاثية ٣٣	٤	١,٣٣٪
١١	جَعَل	الفرقان ٢٣، سبأ ٣٣ ، الصافات ٦٣ ، الواقعة ٣٦	٤	١,٣٣٪
١٢	حاق	هود ٨ ، الزمر ٤٨ ، الجاثية ٣٣ ، الأحقاف ٢٦	٤	١,٣٣٪
١٣	ضَلَّ	يونس ٣٠ ، النحل ٨٧ ، القصص ٧٥ ، فصلت ٤٨	٤	١,٣٣٪
١٤	فُتِح	الأنبياء ٩٦ ، الزمر ٧١ ، ٧٣ ، النبأ ١٩	٤	١,٣٣٪

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

م	الفعل الماضى	مواضع وروده فى القرآن الكريم	عدد مرات وروده	نسبته المئوية بالتقريب
١٥	خَسِر	المؤمنون ١٠٣ ، الزمر ١٥ ، الشورى ٤٥	٣	٪١,٣٣
١٦	حَقَّ او حُقَّ	الزمر ٧١ ، الانشقاق ٢ ، ٥	٣	٪١
١٧	أقبل	الصافات ٢٧ ، ٥٠ ، الطور ٢٥	٣	٪١
١٨	أَلْقَى	النحل ٢٨ ، ٨٦ ، ٨٧	٣	٪١
١٩	نَزَع	الأعراف ٤٣ ، الحجر ٤٧ ، القصص ٧٥	٣	٪١
٢٠	أَوْرَث او أُورِث	الأعراف ٤٣ ، الزمر ٧٤ ، الزخرف ٧٢	٣	٪١
٢١	وَقَى	الطور ١٨ ، ٢٧ ، الإنسان ١١	٣	٪١
٢٢	بَرَز	إبراهيم ٢١ ، ٤٨	٢	٪٠,٦٦
٢٣	بَرُّ	الشعراء ٩١ ، النازعات ٣٦	٢	٪٠,٦٦
٢٤	جَمَع	الكهف ٩٩ ، المرسلات ٣٨	٢	٪٠,٦٦
٢٥	أَحَلَّ	إبراهيم ٢٨ ، فاطر ٣٥	٢	٪٠,٦٦
٢٦	أُدْخِل	إبراهيم ٢٣ ، نوح ٢٥	٢	٪٠,٦٦
٢٧	دَعَا	الكهف ٥٢ ، القصص ٦٤	٢	٪٠,٦٦
٢٨	رَدَّ او رُدَّ	يونس ٣٠ ، التين ٥	٢	٪٠,٦٦
٢٩	أُزْلِف	الشعراء ٩٠ ، ق ٣١	٢	٪٠,٦٦
٣٠	سَقَى او سُقِى	محمد ١٥ ، الإنسان ٢١	٢	٪٠,٦٦
٣١	سِيق	الزمر ٧١ ، ٧٣	٢	٪٠,٦٦
٣٢	انشقَّ	الحاقة ١٦ ، الانشقاق ١	٢	٪٠,٦٦
٣٣	شَهِد	الأنعام ١٣٠ ، فصلت ٢٠	٢	٪٠,٦٦

م	الفعل الماضى	مواضع وروده فى القرآن الكريم	عدد مرات وروده	نسبته المئوية بالتقريب
٣٤	ظنَّ	الكهف ٥٣ ، فصلت ٤٨	٢	٪ ٠,٦٦
٣٥	عَرَضَ أو عُرِض	الكهف ٤٨ ، ١٠٠	٢	٪ ٠,٦٦
٣٦	فَزِع	النمل ٨٧ ، سبأ ٥١	٢	٪ ٠,٦٦
٣٧	اقترب	الأنبياء ١ ، ٩٧	٢	٪ ٠,٦٦
٣٨	قُضِي	الزمر ٦٩ ، ٧٥	٢	٪ ٠,٦٦
٣٩	قَطَّع أو قُطِّع	الحج ١٩ ، محمد ١٥	٢	٪ ٠,٦٦
٤٠	لَعَن	الأعراف ٣٨ ، الأحزاب ٦٤	٢	٪ ٠,٦٦
٤١	أُلْقِي	الملك ٨ ، الانشقاق ٤	٢	٪ ٠,٦٦
٤٢	هُدِي	الحج ٢٤ (مرتان)	٢	٪ ٠,٦٦
٤٣	وُضِع	الكهف ٤٩ ، الزمر ٦٩	٢	٪ ٠,٦٦
٤٤	وَقَع	النمل ٨٥ ، الحاقة ١٥	٢	٪ ٠,٦٦
٤٥	وُقِف	الأنعام ٢٧ ، ٣٠	٢	٪ ٠,٦٦
٤٦	أُخِذ	سبأ ٥١	١	٪ ٠,٣٣
٤٧	أُذِّن	الأعراف ٤٤	١	٪ ٠,٣٣
٤٨	أزف	النجم ٥٧	١	٪ ٠,٣٣
٤٩	أَلَت	الطور ٢١	١	٪ ٠,٣٣
٥٠	بَدَّل	النساء ٦٥	١	٪ ٠,٣٣
٥١	تَبَرَّأ	البقرة ١٦٦	١	٪ ٠,٣٣
٥٢	بَعَث	يس ٥٢	١	٪ ٠,٣٣

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

م	الفعل الماضى	مواضع وروده فى القرآن الكريم	عدد مرات وروده	نسبته المئوية بالتقريب
٥٣	بُعْثِر	الانفطار ٤	١	٠,٣٣٪
٥٤	تَرَكَ	الكهف ٩٩	١	٠,٣٣٪
٥٥	ثُوِّب	المطففون ٣٦	١	٠,٣٣٪
٥٦	جَزَى	الإنسان ١٢	١	٠,٣٣٪
٥٧	حَسِب	الإنسان ١٩	١	٠,٣٣٪
٥٨	حَشر	الكهف ٤٧	١	٠,٣٣٪
٥٩	حُلِّ	الإنسان ٢١	١	٠,٣٣٪
٦٠	حُمِل	الحاقة ١٤	١	٠,٣٣٪
٦١	أحَاط	الكهف ٢٩	١	٠,٣٣٪
٦٢	حِيل	سبأ ٥٤	١	٠,٣٣٪
٦٣	خَشِع	طه ١٠٨	١	٠,٣٣٪
٦٤	أخرج	الزلزلة ٢	١	٠,٣٣٪
٦٥	تَخَلَّى	الانشقاق ٤	١	٠,٣٣٪
٦٦	دَخَل	الأعراف ٣٨	١	٠,٣٣٪
٦٧	دُكَّ	الحاقة ١٤	١	٠,٣٣٪
٦٨	أذهب	فاطر ٣٤	١	٠,٣٣٪
٦٩	زُلْزِل	الإنسان ١٤	١	٠,٣٣٪
٧٠	رَحِم	الدخان ٤٢	١	٠,٣٣٪
٧١	رَضِي	طه ١٠٩	١	٠,٣٣٪

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

م	الفعل الماضى	مواضع وروده فى القرآن الكريم	عدد مرات وروده	نسبته المئوية بالتقريب
٧٢	أراد	السجدة ٢٠	١	٠,٣٣ ٪
٧٣	زُلْزِل	الزلزلة ١	١	٠,٣٣ ٪
٧٤	زَوَّج	الطور ٢٠	١	٠,٣٣ ٪
٧٥	زاد	النحل ٨٨	١	٠,٣٣ ٪
٧٦	زَيَّل	يونس ٢٨	١	٠,٣٣ ٪
٧٧	سأل	الملك ٨	١	٠,٣٣ ٪
٧٨	ساء	الفتح ٦	١	٠,٣٣ ٪
٧٩	سُيِّر	النبأ ٢٠	١	٠,٣٣ ٪
٨٠	أَشْرَق	الزمر ٦٩	١	٠,٣٣ ٪
٨١	صَعِق	الزمر ٦٨	١	٠,٣٣ ٪
٨٢	ضُرِب	الحديد ١٣	١	٠,٣٣ ٪
٨٣	اطَّلَع	الصافات ٥٥	١	٠,٣٣ ٪
٨٤	عَرَّف	محمد ٦	١	٠,٣٣ ٪
٨٥	اعْتَرَفَ	الملك ١١	١	٠,٣٣ ٪
٨٦	عَمِى	القصص ٦٦	١	٠,٣٣ ٪
٨٧	أُعِيد	السجدة ٢٠	١	٠,٣٣ ٪
٨٨	فُجِّر	الانفطار ٣	١	٠,٣٣ ٪
٨٩	فُزِّع	سبأ ٢٣	١	٠,٣٣ ٪
٩٠	انفطر	الانفطار ١	١	٠,٣٣ ٪
٩١	قَدَّر	الإنسان ١٦	١	٠,٣٣ ٪

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

م	الفعل الماضى	مواضع وروده فى القرآن الكريم	عدد مرات وروده	نسبته المئوية بالتقريب
٩٢	قَدم	الفرقان ٢٣	١	٠,٣٣٪
٩٣	تَقَطَّع	البقرة ١٦٦	١	٠,٣٣٪
٩٤	كُبْكِب	الشعراء ٩٤	١	٠,٣٣٪
٩٥	كشف	ق ٢٢	١	٠,٣٣٪
٩٦	كَفى	الإسراء ١٤	١	٠,٣٣٪
٩٧	أَلْحَقَ	الطور ٢١	١	٠,٣٣٪
٩٨	لَقَّى	الإنسان ١١	١	٠,٣٣٪
٩٩	مُدَّ	الانشقاق ٣	١	٠,٣٣٪
١٠٠	أَمَدَّ	الطور ٢٢	١	٠,٣٣٪
١٠١	مَنَّ	الطور ٢٧	١	٠,٣٣٪
١٠٢	انتثر	الانفطار ٢	١	٠,٣٣٪
١٠٣	نُزِّل	الفرقان ٢٥	١	٠,٣٣٪
١٠٤	أَنْشأ	الواقعة ٣٥	١	٠,٣٣٪
١٠٥	نَضِج	النساء ٥٦	١	٠,٣٣٪
١٠٦	أَنْطَق	فصلت ٢١	١	٠,٣٣٪
١٠٧	انْهار	التوبة ١٠٩	١	٠,٣٣٪
١٠٨	وَجَد	الكهف ٤٩	١	٠,٣٣٪
١٠٩	أَوْرَد	هود ٩٨	١	٠,٣٣٪
١١٠	وُفِّى	الزمر ٧٠	١	٠,٣٣٪
	الجملة		٣٠١	

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

يتضح من الجدول السابق :

(١) أن عدد الأفعال الماضية الدالة على المستقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » عما أخبر به الله عز وجل عن أحداث يوم القيامة وأوصافها ومجيئها بلغ فى القرآن الكريم ١١٠ أفعال ترددت ٣٠١ مرة . وأظن أن هذا العدد كثير إذا ما قورن بعدد الأفعال الماضية الدالة على المستقبل فى « حكاية الحال الآتية » فى غير القرآن .

(٢) أن أكثر الأفعال الماضية الدالة على المستقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » ترددًا فى القرآن هو الفعل (قال) ؛ فقد ورد ٨٩ مرة ، أى بنسبة ٢٩,٥٧ ٪ تقريبا إلى المجموع الكلى لعدد تردد الأفعال الماضية الأخرى . وللفعل (قال) أهمية خاصة فى الحكاية ؛ إذ يحكى بعده ما كان كلاما لا قولاً ؛ يقول سيبويه : « واعلم أن قلت فى كلام العرب إنما وقعت على أن يحكى بها وإنما يحكى بعد القول ما كان كلاما لا قولاً نحو : قلتُ : زيدٌ منطلقٌ » [١] . ويقول المبرد : « (قلت) : إنما يقع بعدها الحكايةُ إذا كانت جملة ؛ نحو الابتداء والخبر ، وما أشبه ذلك » [٢] .

الثالث : إخبار الناس فى غير القرآن عما يُتوقع إتيانه فى الدنيا ويوم القيامة :

من ذلك قول أحد الرعية : « أقبل الأمير وقد جاء المبشِّرُ » [٣] إذا كان الأمير على وشك الوصول إلى المكان فصيغة الماضى فى قوله (أقبل) تدل على المستقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » عما أخبر به الرجل من توقع إقبال الأمير .

---

(١) الكتاب : ١/ ٦٢ .

(٢) المقتضب : ٤/ ٧٨ .

(٣) الزمخشرى : الكشاف : ٦/ ٥٤ .

ومن ذلك « قولك لمن طلب إليك بعض المطالب : « قد كان ذلك » وعن حسان (بن ثابت) أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكى فقال له يابنى ، مالك ؟ قال : لسعنى طويـر كأنه ملتف فى بردى حَبرة ، فضمه إلى صدره وقال له : يا بنى قد قلتَ الشعر » [1] .

فصيغة الماضى فى قوله (قد قلت) تدل عـلى المستقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » عما أخبر به حسان من توقع أن يصبح ابنه شاعرا .

ومن ذلك أيضـا قول عمر بن الخطـاب فى إسلام الحكم بن كـيسان رضى الله عنهما : « فـأسْلَمَ والله فحسُن إسلامه ، وجاهد فى الله حتـى قُتل شهيدًا يوم بئر معونة ورسول الله ﷺ راضٍ عنه ودَخَل الجِنان » [2] .

فصيغة الماضى فـى قـوله : (ودخل الجـنان) تدل على المستقبل فى سياق « حكاية الحـال الآتية » عما أخبر به عـمر بن الخطاب رضى الله عنـه من توقع دخول الحكم بن كيسان الجنة .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

* * *

(١) الزمخشرى : الكشاف : ٢/ ١١٤ .

(٢) الواقدى : المغازى : ١/ ١٥ .

القسم الخامس
دلالة صيغة الماضى على زمن ما بعد المستقبل

تدل صيغة الماضى على زمن ما بعد المستقبل إذا وردت فى سياق من السياقين التاليين :

الأول : إذا وردت فى سياق الشرط : وذلك إذا وقعت فى جملة جواب شرط تسبقها جملة شرط تتضمن صيغة ماض دالة على المستقبل ، نحو قولك : « إن اتقيتَ الله أدْخلكَ جنَّته »[1] .

فصيغة الماضى فى قولك : (أدخلك) تدل على زمن ما بعد المستقبل بالنسبة لنقطة الحدث الذى يقع فى المستقبل المتمثل فى قولك (اتقيت) فى سياق الشرط . ومن ذلك قول أحمد بن محمد بن عبد ربه[2] يصف أحد الممدوحين[3] :

إنْ عِشْتَ عاشَ الناسُ فى نِعْمةٍ ... وإنْ مُتَّ ماتَ بك الناسُ

فصيغة الماضى فى قوله (مات) تدل على زمن ما بعد المستقبل بالنسبة لنقطة الحدث الذى يقع فى المستقبل المتمثل فى قوله (مُتَّ) فى سياق الشرط .

---

(١) يقول ابن قيم الجوزية (فى بدائع الفوائد ١/ ١٠٥) : « إن الشرط لا يكون سابقًا للجزاء متقدما عليه فهو ماض بالإضافة إليه . الاترى أنك إذا قلت : إن اتقيت الله أدخلك جنته . فلا يكون إلا سابقاً على دخول الجنة فهو ماض بالإضافة إلى الجزاء فأتوا بلفظ الماضى تأكيداً للجزاء وتحقيقًا ، لأن الثانى لا يقع إلا بعد تحقق الأول ودخوله فى الوجود » .

(٢) أحمد بن محمد بن عبد ربه أحد محاسن الأندلس علما وفضلا ، وأدبا ونبلا وشعره فى نهاية الجزالة والحلاوة (ينظر : يتيمة الدهرللثعالبى ٩/ ٨٢٦) .

(٣) الثعالبى : يتيمة الدهر : ٩/ ٨٢٩ . والبيت من بحر السريع ، إلاَّ أنه ورد هكذا باليتيمة وبه خلل عروضى بالشطر الثانى .

الآخر : إذا وردت فى سياق « حكاية الحال الآتية » عن أحداث يوم القيامة . وذلك إذا وقعت فى جملة جواب (لما) :

نحو قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ (١) .

فصيغة الماضى فى قوله (قال الشيطانُ) تدل على زمن ما بعد المستقبل بالنسبة لنقطة الحدث الذى يقع فى المستقبل المتمثل فى قوله (قُضِى) بعد (لما) فى سياق « حكاية الحال الآتية » عن أحداث يوم القيامة .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا العَذَابَ ﴾ (٢) فصيغة الماضى فى قوله (وأسَرُّوا) تدل على ما بعد المستقبل بالنسبة لنقطة الحدث الذى يقع فى المستقبل المتمثل فى قوله (رأوا) بعد (لما) فى سياق « حكاية الحال الآتية » عن أحداث يوم القيامة .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الذين كفروا ﴾ (٣) .

فصيغة الماضى فى قوله (سيئت) تدل على زمن ما بعد المستقبل بالنسبة لنقطة الحدث الذى يقع فى المستقبل المتمثل فى قوله (رأوه) بعد (لما) فى سياق « حكاية الحال الآتية » عن أحداث يوم القيامة .

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية ٢٢ . ومعنى قوله (لما قضى الأمر) : لما قطع الأمر ، وهو الحساب يوم القيامة (ينظر تفسير الكشاف للزمخشرى ٣/ ١١٧) .

(٢) سورة سبأ ، الآية ٣٣. يقول الزمخشرى (فى الكشاف ٥/ ٦٩) : « فإن قلت : من صاحب الضمير فى (وأسروا) قلت : الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون » .

(٣) سورة الملك ، الآية ٢٧ . يقول الزمخشرى (فى الكشاف ٦/ ١٣٨) : « (فلما رأوه) الضمير للوعد والزلفة القرب وانتصابها على الحال أو الظرف أى رأوه ذا زلفة أو مكاناً ذا زلفة . (سيئت وجوه الذين كفروا) أى ساءت رؤية الوعد وجوههم بأن علتها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وكما يكون وجه من يقاد إلى القتل أو يعرض على بعض العذاب » .

خاتمة البحث

توصل البحث إلى نتائج عديدة متنوعة ، يُصَنَّف أهمها فى النقاط التالية :

اولاً : نتيجة عامة توصل إليها البحث بعد دراسة كل أقسام الدلالة الزمنية لصيغة الماضى ، وهى أن لصيغة الماضى دلالات زمنية تختلف باختلاف السياق اللغوى الذى ترد فيه بغض النظر عن إسنادها إلى الأسماء أو الضمائر أو بنائها للمعلوم أو المجهول .

ثانياً : من النتائج التى تمثل جدةً فى البحث والتى أرى أنها لم تطرح فيما سبق من دراسات على حد مبلغ علمى بذلك :

(١) أن صيغة الماضى تدل على ما قبل الزمن الماضى قبل الحرف (حتى) ملتوًا بصيغة ماضٍ ، فلم أقف حتى الآن على رأى قال بأن صيغة الماضى تدل على ما قبل الزمن الماضى فى هذا الموضع .

(٢) العثور على تركيب فعلىّ نادر الاستعمال ، فيما أظن ، وهو (كان قد كان فَعَل) ؛ فلم أعثر ، فيما قرأت ، إلاَّ على مثال واحد منه يدل على وقوع حدث بعيد من الزمن الماضى فى كتاب السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ١٧٣) .

(٣) الوصول إلى أن صيغة الماضى تدل على الزمن الحاضر فى سياق الإعلان عن أمر والإقرار به ، ومُثِّل له فى البحث بالعديد من الشواهد والأمثلة .

(٤) أن أكثر الأفعال الماضية الدالة على المستقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » ترددًا فى القرآن هو الفعل (قال) ؛ فورد ٨٩ مرة أى بنسبة

٢٩,٥٧ ٪ تقريبًا إلى المجموع الكلى لـعدد تردد الأفعال الماضية الأخرى . اتضح ذلك من الجدول الإحصائى الوارد فـى القسم الرابع من البحث . وللفعل (قال) أهمية خاصة فـى الحكاية ؛ إذ يُحْكى بعده ما كان كلاماً لا قولاً .

ثالثاً : من النتائج التى تُمثِّل إضافةً جديدة إلى ما توصل إليه رأى أحد العلماء السابقين ما يلى :

(١) قام نيبز NEBES (فى كتابه : Funktionsanalyse von kaana yaf'alu, Kapitel 4, S. 79–91) بحـصر ما تعـبر عنه الأمـثلة التـى جمعهـا من النـصوص العربـية التـى تحتوى عـلى تركيـب (كان يَفْعَلُ) الدال عـلى استمـرار وقوع الحدث فى المـاضى ، وذلك فى ستـة معان رئيـسة ذكرت جميعها فى البحث .

وأضاف الباحث إلى المعانى الستة التـى حصرها نيبز معنى سابعًا ، هو التعبير عن عادة ما . ومثَّل لهذا المعنى فى البحث بحديث نبوى شريف .

(٢) رأى ابنُ مالك (فى شرح التسهيل ١/ ٣٠) أن صيغة الماضى تنصرف إلى الاستقبال بعد القَسَم فى جملة منفية بلا أو بإن .

وأضاف البـاحـث صـورة ثـالثـة إلى الـصورتَيْن اللتين أوردهـما ابنُ مالك ، وهى : أن صيغـة الماضى تدل على المستقبـل أيضاً إذا وقعت فى جملة جواب قَسَم جاءت على صورة استـثناء مفرغ بما النافية وإلاَّ . ومثَّل لها فى البحث بمثال .

رابعاً : وصل الـبحث إلى نـقـد جـملة مـن الآراء وإثبات بعـض الآراء لدى الباحث ، ومن ذلك :

(١) ذُكِر فى موضوع « دلالة صيغة الماضى على قرب وقوع الحدث فى الماضى » رأى سيبويه الذى يقول (فى كتابه ٣/ ١٥٩) إن اقتران المضارع فى خبر كاد بـ (أنْ) خاصٌّ بالشعر .

إن ما جاء فى كتاب سيبويه ينفى ما ذكره ابنُ عقيل (فى شرحه على ألفية ابن مالك ١/ ٣٢٩) حين نسب رأى سيبويه السابق للأندلسيين .

(٢) يفهم من كلام الرضى عن « هلهل » (فى شرح الكافية ٢/ ٣٠٥) أن تركيبا مثل : « كاد يفعل » وأمثاله ، فيه مبالغة فى قرب وقوع الحدث أكثر مما لو قلت : « كاد أن يفعل » وأمثاله .

ولكن بتناول دراسة الدلالة الزمنية لهذين التركيبين فى بعض النصوص العربية التى وردت فى البحث من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والشعر ، تبين فى ضوء سياقاتها أنه لا فرق فى الدلالة الزمنية بين تركيب « كاد يفعل » وأمثاله ، وتركيب « كاد أن يفعل » وأمثاله .

(٣) إن ما توصل إليه هذا البحث من أن لتركيب « قد فَعَل » دلالة رئيسة ، وهى انتهاء وقوع الحدث فى زمن ماضٍ قريب من لحظة التكلم ، وأن معظم دلالاته الفرعية تدور حول هذه الدلالة التى لا تؤديها صيغة (فَعَل) دون (قد) ، وكذلك ما رآه ابنُ هشام الأنصارى (فى مغنى اللبيب ١/ ١٧٢) من أن هناك فرقًا فى الدلالة الزمنية بين (فَعَل) و (قد فعل) وما لاحظه ڤولفديترش فيشر (فى كتابه : Grammatik des klassischen Arabisch, S. 94) من أن وظيفة صيغة الماضى فى الحكاية لا تؤدَّى بـ (قد) ، إنما تؤدَّى بصيغة (فَعَل) دون (قد) . إن هذا كله ينفى ما رآه الدكتور مالك المطلبى (فى الزمن واللغة ٢٣٣) من أن « المركب (قد

فَعَل) شأنه شأن صيغة (فعل) يدل على ماض قد يكون مطلقا أو قريبًا أو بعيدًا » .

(٤) يرى أبو على الفارسى أن (لما) ظرف زمان بمعنى (إذْ) فيه معنى الشرط . وذكر رأيَه ابنُ مالك (فى شرح التسهيل ٤/ ١٠٢) .

وأظنُّ أن ابن هشام الأنصارى تَوَهَّم حين نسب رأى أبى على الفارسى السابق لابن مالك (فى مغنى اللبيب ١/ ٢٨٠) .

(٥) توهم وليم رايت (فى كتابه : Agrammar of the Arabic Language, p. 14, 15) أن صيغة الماضى بعد همزة التسوية تدل على معنى الاستقبال فقط ، وأن العطف بعد همزة التسوية يكون بـ (أو) . ولعل الصواب هو أن صيغة الماضى تحتمل الاستقبال والمضى بعد همزة التسوية والذى يحدد ذلك هو سياق الكلام ، ومثّل لكلا الزمنين فى البحث ، وأن حرف العطف الذى يستعمل بعد هذه الهمزة هو (أمْ) وليس (أو) .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

* * *

مصادر البحث ومراجعه

اولاً : المصادر والمراجع العربية :

١ - القرآن الكريم .

٢ - ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن الشيبانى) :

- الكامل فى التاريخ ، دار صادر ، بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٣ - أحمد سليمان ياقوت (دكتور) :

- النواسخ الفعلية والحرفية « دراسة تحليلية مقارنة » ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤م .

٤ - الاستراباذى (رضى الدين محمد بن الحسن) :

- شرح كتاب الكافية فى النحو للإمام جمال الدين أبى عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٥ - الأصمعى (أبو سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك) :

- الأصمعيات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٦٧م .

٦ - الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) :

- ديوان الأعشى الكبير ، شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة السابعة ، بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٧ - إيليا الحاوى :
- شرح ديوان الفرزدق ، ضبط معانيه وشروحه وأكملها إيليا الحاوى دار الكتاب اللبنانى ومكتبة المدرسة ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٣م .

٨ - البَلاذُرِىّ (الإمام أبو الحسن) :
- فتوح البلدان ، عنى بمقابلته على نسخة الشنقيطى والتعليق عليه رضوان رضوان محمد رضوان ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م .

٩ - الترمذى (أبو عيسى محمد بن عيسى الضحاك السلمى البوغى) :
- أوصاف النبى ﷺ ، تحقيق وتعليق سميح عباس ، دار الجيل ببيروت ومكتبة الزهراء بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

١٠- تمام حسان (دكتور) :
- اللغة العربية معناها ومبناها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط. الثانية ، القاهرة ١٩٧٩م .

١١- الثعالبى (أبو منصور) :
- يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر ، أعاد تحقيقها وشرحها وعرف بشعرائها ووضع فهارسها إيليا الحاوى ، توزيع الشركة الشرقية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٧١م .

١٢- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) :
- رسائل الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون - دار الجيل - الطبعة الأولى - بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

١٣- الجرجانى (عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد) :
- دلائل الإعجاز ، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمد محمود شاكر ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

١٤- ابن جنى (أبو الفتح عثمان) :
- الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

١٥- حامد عبد القادر :
- « معانى الماضى والمضارع فى القرآن الكريم ، ١- معانى الماضى » مقال فى مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء العاشر ، مطبعة التحرير ، القاهرة ١٩٥٨م .

١٦- الرازى (الإمام محمد فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرى) :
- تفسير الفخر الرازى ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

١٧- الزجاج :
- إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ، تحقيق ودراسة إبراهيم الإبيارى ، دار الكتاب اللبنانى ومكتبة المدرسة ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

١٨- الزمخشرى (جار الله) :
- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، تحقيق وتعليق محمد مرسى عامر ، دار المصحف وشركة مكتبة

ومطبعة عبد الرحمن محمد ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

١٩- سحيم عبد بنى الحسحاس :

- ديوان سحيم ، تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمنى، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٥٠م ، الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م .

٢٠- ابن سعد (محمد بن سعد كاتب الواقدى) :

- الطبقات الكبرى ، دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

٢١- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) :

- الكتاب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية . ج١ (١٩٧٧) ، ج٣ (١٣٩١هـ ، ١٩٧١م) ، ج٤ (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).

٢٢- السيوطى (جلال الدين) :

- همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع ، تحقيق وشرح الدكتور عبدالعال سالم مكرّم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

٢٣- الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) :

- جامع البيان فى تفسير القرآن ، نسخة صورتها دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م عن الطبعة الأولى بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ، القاهرة ١٣٢٣هـ .

٢٤- عباس محمود العقاد :
- « الزمن فى اللغة » مقال فى مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الرابع عشر ، مطبعة مصر ، القاهرة ١٩٦٢م .

٢٥- العسقلانى (ابن حجر) :
- فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مكتبة القاهرة ، القاهرة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

٢٦- ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله) :
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل تأليف محمد محيى الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث ، الطبعة العشرون ، القاهرة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٢٧- العلوى (يحيى بن حمزة بن على بن إبراهيم) :
- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، أشرفت على مراجعته وضبطه وتدقيقه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٢٨- عمر بن أبى ربيعة :
- شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت بدون تاريخ ..

٢٩- عنترة بن شداد :
- ديوان عنترة ، تحقيق ودراسة محمد سعيد مَولوى ، المكتب الإسلامى ، الطبعة الثانية ، بيروت ودمشق ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٣٠- القيسى (أبو محمد مكى بن طالب) :
- مشكل إعراب القرآن ، تحقيق دكتور حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الرابعة ، بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٣١- ابن قيم الجوزيه (أبو عبد الله محمد بن بكر الدمشقى) :
- بدائع الفوائد ، دار الكتاب العربى - بيروت بدون تاريخ .

٣٢- المالقى (أحمد بن عبد النور) :
- رصف المبانى فى شرح حروف المعانى ، تحقيق دكتور أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، الطبعة الثانية ، دمشق ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٣٣- ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائى الجيّانى الأندلسى) :
- شرح التسهيل ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد والدكتور محمد بدوى المختون ، هجر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى - الجيزة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

٣٤- مالك يوسف المطلبى (دكتور) :
- الزمن واللغة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٦م .

٣٥- المبرّد (أبو العباس محمد بن يزيد) :
- المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر ، لجنة إحياء التراث الإسلامى ، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة ١٣٨٦هـ .

٣٦- امرؤ القيس :
- ديوان امرئ القيس ، تحقيق حنا الفاخورى ، دار الجيل ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٣٧- المَسْعُودىّ (أبو الحسن على بن الحسين بن على) :
- مروج الذهب ومعادِنُ الجَوْهر ، شرحه وقدم له دكتور مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٣٨- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرّم الأنصارى) :
- لسان العرب ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة بدون تاريخ .

٣٩- مهدى المخزومى (دكتور) :
- فى النحو العربى نقد وتوجيه ، دار الرائد العربى ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٤٠٦ - ١٩٨٦م .

٤٠- الميدانى (أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابورى):
- مجمع الأمثال ، حققه وفصله وضبط غرائبه وعلق حواشيه محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٣٩٣هـ - ١٩٧٢م .

٤١- ابن هشام الأنصارى (أبو محمد عبد الله جمال الدين) :
- شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب ومعه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب تأليف محمد محيى الدين عبد الحميد ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا وبيروت بدون تاريخ .
- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، حققه محمد محيى الدين عبد الحميد ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده ، القاهرة بدون تاريخ .